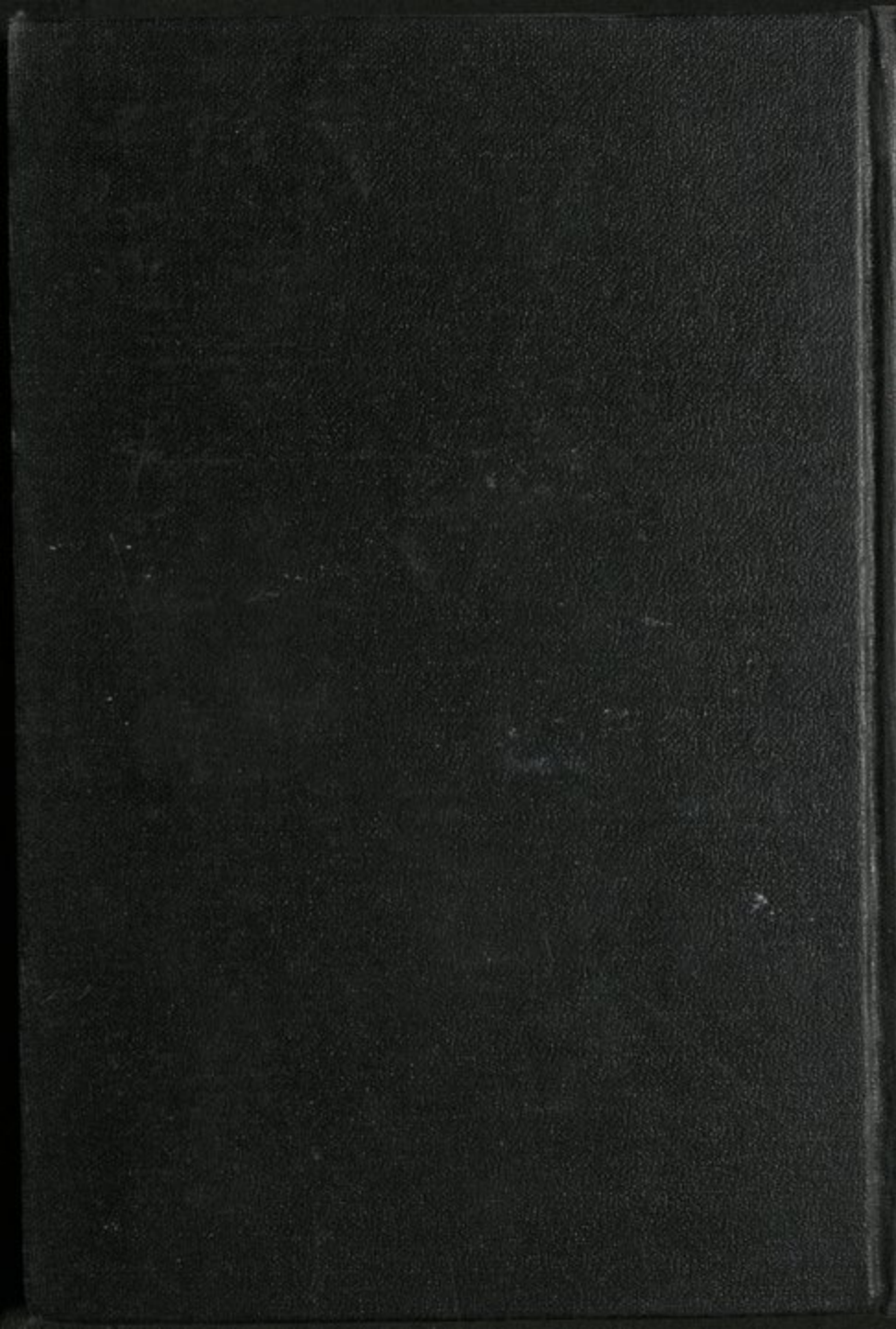


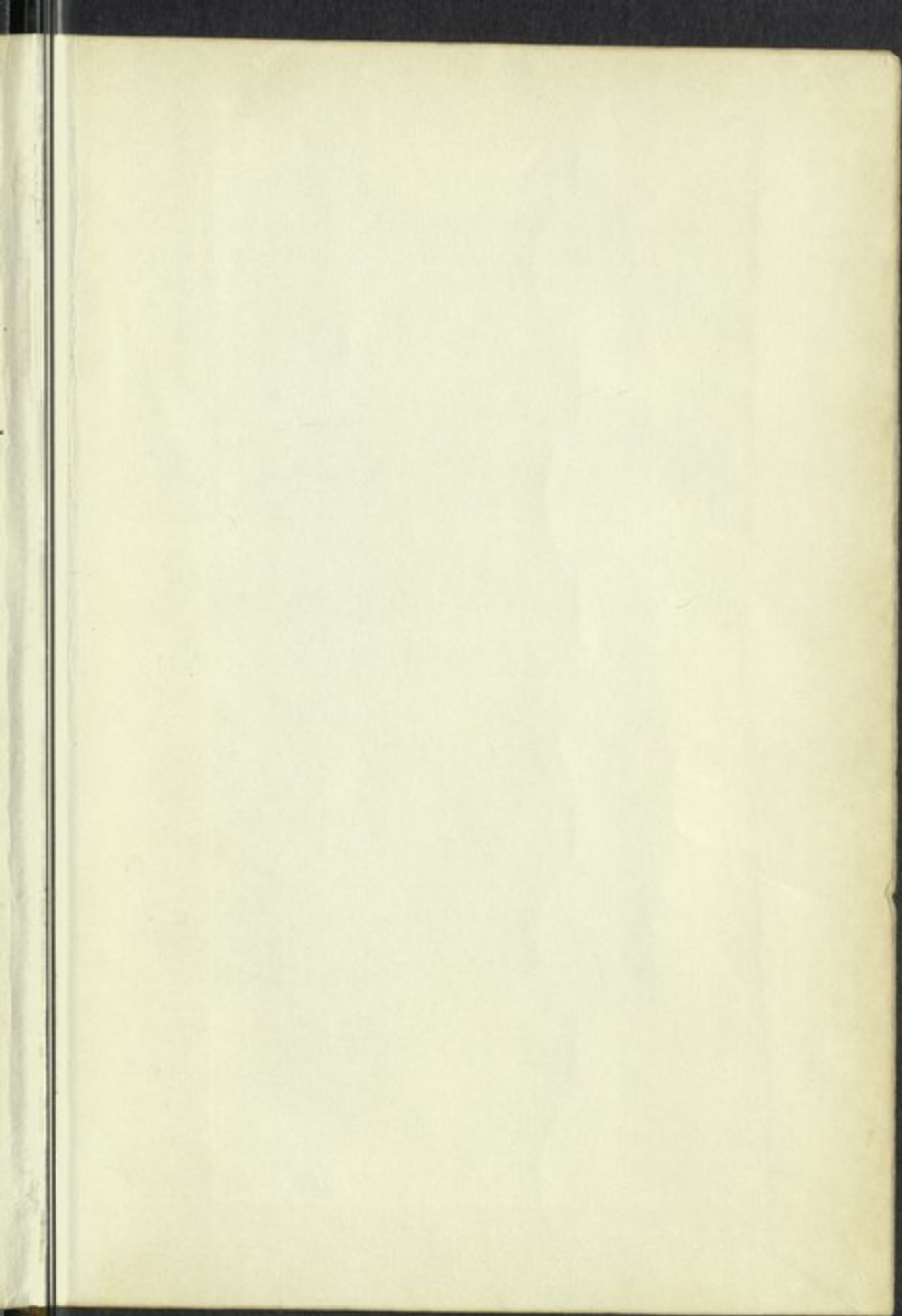


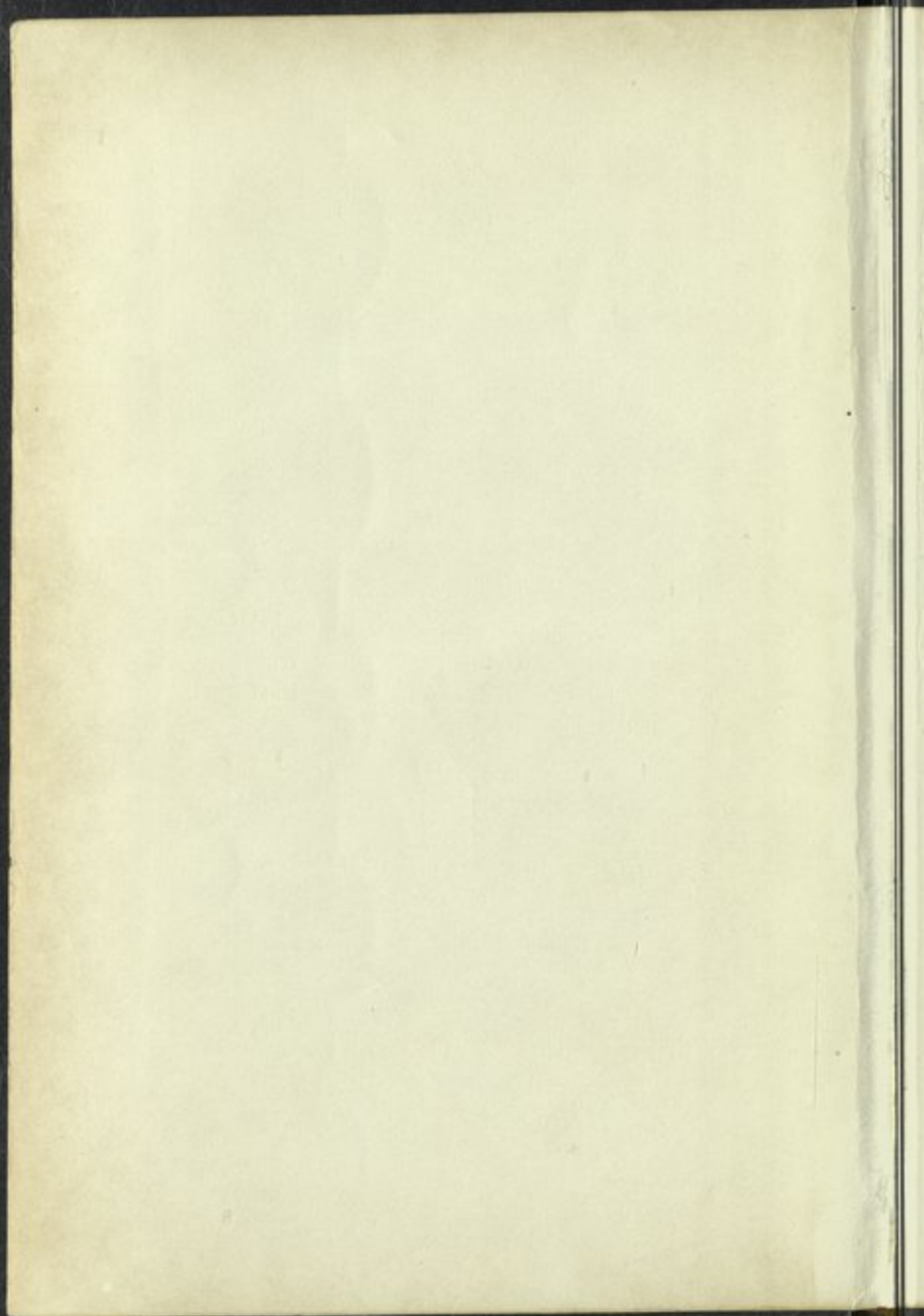
A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A. D. B. LIBRARY





EEACJ

٥٧
توفيق الحكيم

892.76

Hal43822A

١٥٥
زهرة العمر

الطبعة الثانية

67433

الناشر: مكتبة الآداب بالجواميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة
مطبعة التوكّل بالجواميز
١٩٤٤



كتب توفيق الحكيم



التي نشرت في اللغة العربية

- | | | |
|---|---|-------------------------|
| <p>الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)
الطبعة الثانية :
(مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)</p> | } | محمد |
| <p>الطبعة الاولى :
(مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)</p> | } | شهر زاد |
| <p>الطبعة الاولى :
(مطبعة مصر عام ١٩٣٣)
الطبعة الثانية :
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٣)
الطبعة الثالثة :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠)</p> | } | أهل الكهف |
| <p>(مطبعة الرغائب عام ١٩٣٣)</p> | } | عودة الروح
في جزئين |
| <p>(مطبعة دار الهلال عام ١٩٣٤)</p> | } | أهل الفن |
| <p>المجلد الاول : ويشمل قصص : سر المنتحرة نهر
الجنود ، رصاصه في القلب ، جسنا ، اللطيف ،
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)</p> | } | مسرحيات
توفيق الحكيم |

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

القصر
المسحور
(مشاركة مع الدكتور طه حسين بك
(مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦))

مسرحيات
توفيق الحكيم
(المجلد الثاني : ويشمل قصص . الخروج من الجنة أو
المهمة أمام شباك التذاكر . الزمار . حياة مخطت .
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧))

يوميات نائب
في الأرياف
(الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)
الطبعة الثانية لحساب وزارة المعارف العمومية :
(مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عام ١٩٣٧))

عصفور من
الشرق
(الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثالثة :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٣))

تحت شمس
الفكر
(الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١))

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

تاريخ حياة
معدة } (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

عهد الشيطان
الطبعة الاولى :
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨
الطبعة الثانية :
مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

براكسا
أو
مشكلة الحكيم } مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

راقصة المعبد
الطبعة الاولى :
مطبعة التوكل عام ١٩٣٩
الطبعة الثانية :
مطبعة التوكل عام ١٩٤٠

نشيد الأنشاد : مطبعة مصر عام ١٩٤٠

حمار الحكيم
الطبعة الاولى :
مطبعة التوكل عام ١٩٤٠
الطبعة الثانية :
مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

«تابع» كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

الطبعة الاولى :
مطبعة التوكل عام ١٩٤١
الطبعة الثانية :
مطبعة التوكل ١٩٤٢ } سلطان الظلام

مطبعة التوكل عام ١٩٤١ : من البرج العاجي

مطبعة التوكل عام ١٩٤٢ } تحت المصباح
الاخضر

مطبعة التوكل عام ١٩٤٢ : بجاليون ✕

مطبعة التوكل عام ١٩٤٣ : سليمان الحكيم ✕

الطبعة الاولى :
مطبعة التوكل عام ١٩٤٣
الطبعة الثانية :
مطبعة التوكل عام ١٩٤٤ } زهرة العمر ✕

كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في لغة أجنبية

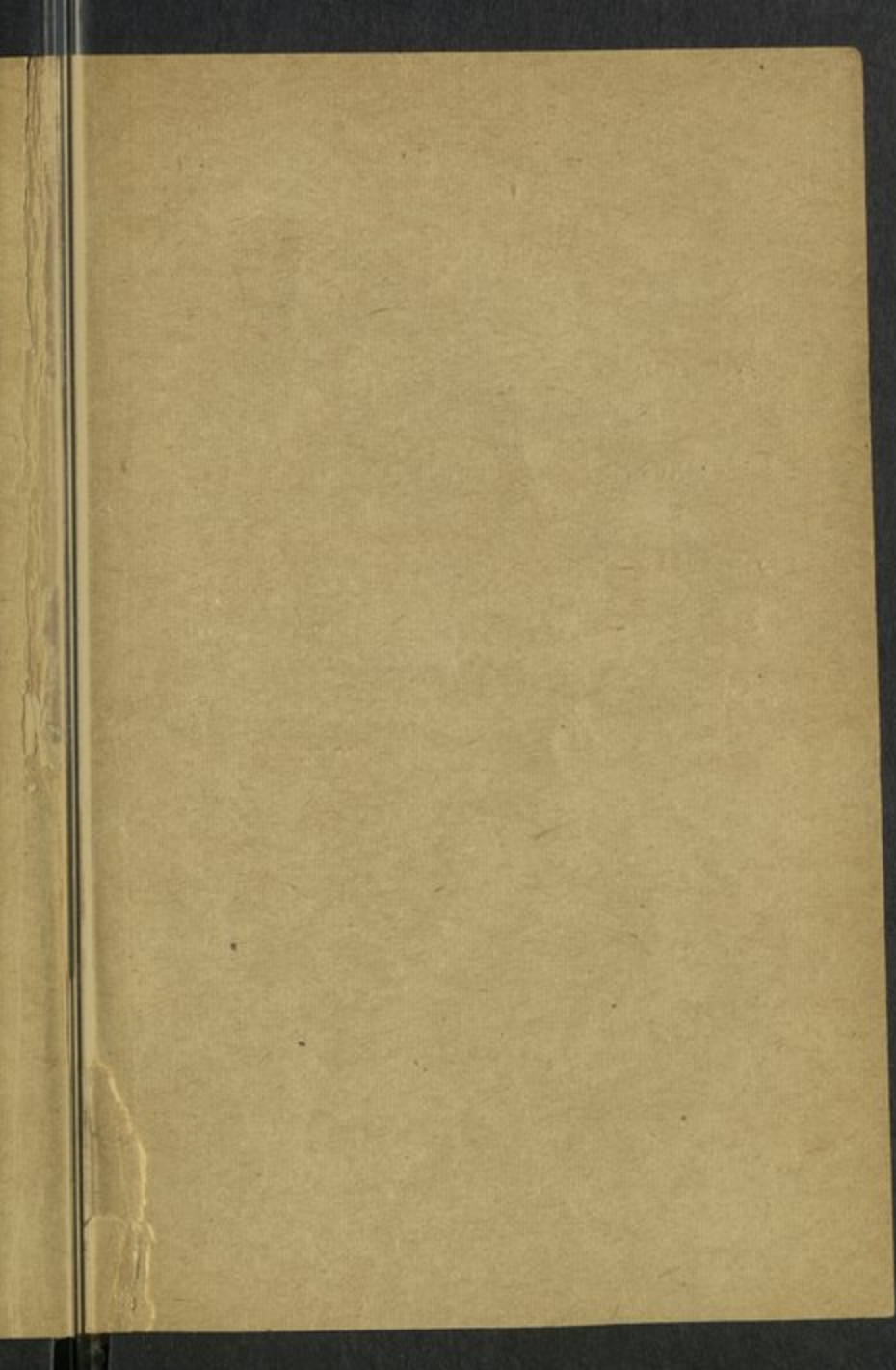
X شهر زاد { ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج
ليسكوت عضو الاكاديمية الفرنسية .

X عودة الروح { ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٣٥ .
(وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ .

يوميات نائب { ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور
حافظ عفيفي باشا . (طبعة أولى)
في الارياض { وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية)

X أهل السكف { ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتبسيط تاريخي
(لجاستون فييت مدير دار الآثار العربية .

X عصفور من الشرق { ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١



مقدمة

هذه رسائل حقيقية كتبت بالفرنسية في ذلك العهد
الذي يسمونه «زهرة العمر». وهي موجهة إلى مسيو
«أندريه . . .» الذي جاء وصفه في كتابي «عصفور
من الشرق». وقد بدأنا نراسل بعد مغادرته «باريس»
للعمل في مصانع «ليسل» بشمال فرنسا. ولبثنا على ذلك
إلى ما بعد عودتي إلى مصر والتحاقى بالسلك القضائي.
ثم انقطعت بيننا الرسائل والأخبار. وانتهى كل شيء،
وجرفنا تيار الحياة، كل في واديه . . . فلم نلتق بعد
ذلك إلا في عام ١٩٣٦، إذ سافرت لتضية الصيف في
فرنسا . . . وكنت قد تركت القضاء وصرت

مديراً لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف ، ونشرت في
الأدب عدة كتب . . . فوجدت « أندريه قد أصبح رجلاً
مهماً ذا مركز مستقر في الصناعة الفرنسية . ووجدت
زوجته « جرمين » على عهدي بها ، لم ينل الزمن كثيراً من
سالف جمالها . . ولم أر للأسف طفلهما الصغير « جانو »
فقد غدا بالطبع شاباً يسعى مع الطلاب في الحى اللاتينى ،
ويشاركهم تلك الحياة الصعبة النشيطة الهوجاء .

وتحدثنا ملياً فيما فعلته الحياة انما . . . وعند ذاك
قاذى الصديقان من يدى إلى مكتبة الدار برياشها التى
لمست فيها حسن ذوق « جرمين » المعروف . وأشارا بزهو
من خلف الزجاج إلى نسخة فاخرة التجليد من كتاب
لى ترجم وقتئذ إلى الفرنسية ونشر فى باريس مقرظاً بقلم
كاتب شهير من أعضاء الأكاديمية . وقالوا لى نفورين :
« هذه ثمرة جهادك الذى كنا من شهوده . . . ! »
ثم جعلنا نتذكر الماضى : ونحن نتناول الشاي .

فنهض أندرية بهدوء وصمت ، واختفى لحظة ، ثم عاد إلينا
يحمل صندوقاً صغيراً وهو يقول باسمها : لم يكن من
السهل أن نفساك أو نفسي تلك الأيام ، وهذه رسائلك
عندنا نلمح فيها طيفك ماثلاً أمامنا . . أليس كذلك
يا جرمين ؟ . . . فمدت يدي إلى الصندوق على الرغم
منى ، واختطفت بحركة غريزية إحدى الرسائل . وطفقت
أقرأ وأقرأ . . . حتى نسيت نفسي ومن حولى والشاى
الذى أمامى . . . ولم أفطن إلى تنبيه الصديق وزوجه . .
ولم أر سوى شىء واحد : هذا شبانى حقاً . . . قد
انتفض ماثلاً لعينى . . كيف أتركه لكما ؟ . . وتنازعنا
الرسائل . فحسمت جرمين النزاع آخر الأمر بقولها :
إنا نثق بوعدك وكلمتك . . . خذ رسائلك اقرأها كما
شئت فى شهر أو شهرين على أن تردها إلينا بعد ذلك .
فوعدت . وحملت رسائلى برفق وحرص وحنان كأنى
أحمل الرماد المتخلف عن « زهرة العمر » الذابلة . . .



وأنستني شئون ذلك الصيف كل شيء . فلقد شغلت
بمن قابلت من الأصدقاء في جبال الالب . وبما شاهدت
من مظاهر الفن . . في سالزبورج ، عن التفكير في
هذه الرسائل ، فلم أفتحها إلا بعد عودتي إلى مصر . فكنيت
كلما خلوت إلى نفسي أطلع رسالة أو رسالتين وأنا أبتسم ؛
ثم أطوى ما قرأت وأنا أفكر فيما كان وما هو كائن . . .
لقد أصبحت هذه الرسائل لازمة لي في وحدتي . ومرت
الشهور في أثر الشهور . ولم أنس وعدي وكلمتي . .
ولكن ما ذا أصنع ؟ عندئذ خطر لي أن أنقل هذه
الرسائل إلى العربية وأحفظها لنفسي . ولم أر بأسا بعد
ذلك من رد الأصل الفرنسي . فأخذت في نقلها ببطء
كلما وجدت من الوقت فراغا . ولم أرد لها إلى صاحبها
إلا عند ما سافرت إلى فرنسا لتخصيصة الصيف عام ١٩٣٨ .

وهكذا بقيت عندى الصورة العربية لهذه الرسائل أجيل
فيها النظر من حين إلى حين . . . وأنا أحرص
عليها وأضن بها ولا أرضى أن تقع عليها عين غير
عيني . . . فهذا شيء لى . . . وهى جزء منى . . .
وقطعة من حياتى . . . هى زهرة عمرى . . .



واندلعت نيران الحرب الأخيرة . . . وانهارت
فرنسا . فتذكرت الصغير « جانو » . . . لاشك
عندى فى أنه اشترك فى هذه الحرب . . . ومن يدري
أهو فى القتلى أم فى الأسرى أم فى الجرحى ؟ . . . إنى
لم أزل أتخيله طفلاً فى الرابعة يلعب أمامى فى المطبخ
بمنزل جدته فى « كوربفوا » من ضواحي باريس . . .
وأنا جالس إلى المائدة أتناول فطورى وأقرأ كتاب
الجمهورية لأفلاطون . . . وهو يصيح بصوته الملائكى

الصغير رافعاً سيفه الزائف ومصوباً مدفعه الصفيح نحو
أعداء وهميين من «البوش» الألمان ... آه ... لقد
دار الزمان ... وأصبح «جانو» شاباً قوياً وقد حارب
الألمان بالفعل ... ويالها من حرب !!

أما صديق أندريه وزوجته جرمين فأين هما الآن ؟
أهما بخير ؟ أم هما على ولدهما «جانو» متفجعان ؟ !
اللهم لاتفجعهما في لدهما وهو في زهرة عمره . فقد كانا
رفيق شبابي ، والإناء الذي أحاط بزهرة عمرى ...



واليوم وقد كادت تذبل زهرة العمر بعد أن جاوزنا
الأربعين . اليوم بعد أن اعتزلت وظائف الحكومة ،
ونزلت عن زخارف المجتمع ، وانقطعت لأهيم كما أشاء
في هيكل «أبولون» ... مكرساً بقية حياتي للأدب
والفن ... فاني أرجع بصرى القهقري لأرى أيام

السكد فى سبيل التكوين الفنى . . . ولقد أدهشنى حقاً
ما رأيت فى رسائلى هذه : اطلما قاومت وكأخت فى سبيل
التجرد والتحرر من كل ما يشغلنى عن الفن . . . وها أنذا
اليوم قد انتصرت . . . نعم ، لقد انتصرت . فأنا
الآن للفن وحده . . ولا أرجو الا أن يكون هو أيضاً
لى قليلا قبل أن ألفظ النفس الأخير .

وبعد . . . فلقد رضيت اليوم أن أنشر هذه
الرسائل ، تذكاراً للصديقين أندريه وجرمين ، وتقديراً
لولدهما الشاب الباسل « جانو » وإشعاراً لقرائى على
نفسى . قرائى الخالصاء الذين قد يعينهم أن يطلعوا على صفحة
من حياتى . على أن من واجبى أن أشير إلى أنى وجدت مع
الأسف أكثر هذه الرسائل غير مؤرخ . ولم يكن فى
مقدورى ترتيبها على حسب التواريخ ، ولا حتى على
حسب الحوادث ، ترتيباً دقيقاً . ولعل ترتيبى هذا هو

أقربها إلى الحقيقة والمنطق . فإذا بدا شيء من الاضطراب
في تسلسل الوقائع أو شيء من التكرار في بعض التفاصيل
فإن ذلك راجع ولا ريب إلى طبيعة الرسائل في ذاتها .
وقد كانت رسائل خاصة لم يخطر قط على بال أحد أنها
قد تقدم للنشر يوما . والرسائل الحقيقية ليست عملا
مؤلفا تأليفا حتى يستباح فيها التنقيح والحذف والتعذيب ،
فإن مزيته الوحيدة هي التشجيع على نشرها بخيرها
وشرها ، وإنى — توخيا للصدق — لم أحذف حتى ما
كان يحسن حذفه من عبارات أو فقرات أو حوادث قد
يعتبر نشرها ماسا بشخص المرسل أو المرسل إليه . .

عزيرى . . .

هذه اصبح الادب وقصاعه المراسل -
التي هي في الواقع لا تخلو من
باريس - شارع بليور في . . .

التي هي في الواقع لا تخلو من
توفيق الحكيم لكي نطلع على سائمه
الخاصه بها وهذا الكتاب القيم الذي
لا يبدى قراءته

عزيرى اندريه : - - - فيد ربحين دائريه وجامع

صدقت فراستك. الخيال قد اضاعني يا اندريه .

أنا شخص شقي . وليس الشقاء هو البكاء . وليست المتع
السعادة هي الضحك . فأنا أضحك طول النهار ، طالباً
لأنني لا أريد أن أموت غارقاً في دموعي . أنا شخص

ضائع مهزوم . في كل شيء . وقد كان الحب آخر

ميدان دحرت فيه . وإذا كنت تسمع من في

أحياناً أنا شيد القوة والبطولة فاعلم اني أصنع ذلك

تشجيعاً لنفسى ، كمن يغني في الظلام طرداً للفرع .

ها أنت ذا اليوم تراني أكتب إليك عن القوة

والشخص القوى ، وأنا بهذا أحاول أن أؤم نفسي
انى قوى . انى أشعر براحة وعزاء إذ أتحدث فى
وحدتى عن القوة . ويخيل إلى لحظة انى ذلك الشخص
الذى عناه إيسن بقوله : « الرجل القوى هو الرجل
الوحيد » . . . كفى كلاما عن نفسى . انها لا تستحق
أن نتحدث عنها أكثر من ذلك . أحدثك الآن
عن أحوالك أنت وعن خطابك الذى صيبت على
فيه كل لعناتك . قبل ذلك أقول لك انى مغتبط
لرضاءك عن عملك الجديد بمصنع « ليل » أما اكفهرار
الجو المستمر فى هذه المدينة الشمالية فهو خير على كل
حال من اكفهرار وجه الحياة . أخبرك ان آخر مرة رأيت
فيها جرمين كان مساء الأربعاء الماضى حيث تناولنا
معاً العشاء بصحبة جانو الصغير . وسأراها يوم الأحد
القادم . فهى لا تستطيع مقابلتى قبل ذلك اليوم
الذى تعطل فيه من مصنع كوريفوا . وليس بى

حاجة إلى أن أؤكد لك شوقها الشديد اليك . هنيئاً
لك خب زوجك ووليك . النقود وصلت . ثلثائة
من الفرنسكات بالتمام . أشكرك وأرجو أن لا
تستدين من غيرى ولا منى الا للضرورة . فاني اعرف
فيك الاسراف والتهور احياناً . وحب مغازلة النساء
الجميلات . يجب ان ترعوى والا اخبرت جرمين بكل
شئ ... م

باريس — شارع بلور في ...

عزيزى اندريه :

أشكر لك خطابك . وآسف لما سببه لك
خطابى من حزن لأجلى . ما كنت لى الحق فى أن
أضيف مابى الى مابك . فهذا حمل ثقيل لا أَرْضاه
لك . انى أؤنب نفسى الآن . لقد أَلْجأها الضعف
اليك للتوكؤ عليك . وفاتها ان فى ذلك ازعاجا لك .
قاتل الله الضعف . ومع ذلك ، ، لا لولا هذا
الضعف الانسانى ما وجدت العواطف الانسانية
الجميلة التى تنتج أحيانا الأعمال الانسانية العظيمة ،
ان الضعف هو أيضا مظهر جمال فى بعض الاحيان

لا يجب أن ننسى ذلك . انه جمال الانسان الذى يمتاز
 به عن إله قوى لا رقة فيه ولا شعور . لماذا نعد
 دائما الضعف البشرى نقيصة ؟ ما دمنا قد وصمنا
 به إلى الأبد فلنحترمه أحيانا ولنستثمره ولنحوه
 إلى فضيلة من فضائل البشر . بغير هذا فان الحياة
 لن تحتل . أترانى أعزى نفسى يا اندريه بهذا الهراء
 من الكلام . . . أترانى أقلب « الحقائق » كي أرى
 الدنيا ملأى بالحسنات والفضائل . خليفة باحترامنا
 جذيرة بتحملنا الآلام فى سبيل المكث فيها ؟
 لاتضحك ولا تسخر ولا تهمنى بالحق . فانك قد
 تحترمنى قليلا وتدهش لقوة احتمالى . إذا عرفت مبلغ
 ما تجمع على رأسى من شقاء . ومع ذلك ما زلت
 أحاول انتزاع ابتسامة من شففى الحياة . لا أريد أن
 أحدثك عن نفسى أكثر من ذلك . لكن . . .
 فلا أحدثك قليلا لتعلم انك بالقياس إلى أسعد

المخلوقات طراً . فأنت الآن رجل ناجح في حياتك
تجد من يقدر عملك وجهدك وينقذك عليه أجراً
معقولاً ، والمستقبل أمامك جلي كالنجم اللامع في
السماء الصافية . وقد قلت لي ان مصانع « ليل »
تخاطفك . وانك ترقى درجات العمل الأولى سريعاً .
ثم أنت فوق ذلك رجل محاط بالحب والعطف من
زوجك وولده . أنت محب محبوب . ومن تحب
تحرص عليك وترى فيك المثل الأعلى ، لا للرجولة
وحدها والبطولة ومكارم الأخلاق بل للجمال أيضاً .
لستم أدهشتني جرمين ذات يوم وأنا أريها صورة
« رودولف فالنتينو » في إحدى الصحف قائلاً لها :
« إليك صورة أجمل رجل في العالم » فقد قالت
للفور : « اندريه أجمل منه . ألا توافقني على ان
اندريه أجمل منه ؟ » ماذا تريد أكثر من ذلك ؟
وماذا يريد انسان أكثر من ذلك ؟ انك لا تعرف

الشقاء . أما أنا فأعرفه . أنه فجيعه الانسان في آماله .
نحن . . . انما نعيش داخل آمالنا . فاذا اندكت
فنحن كالتمل الشارد في الشتاء العاصف . لا تنظر
إلى بعين سخريتك يا اندريه . ولا تظن انى أغنى
الحب . فلو انه هو الذى انهدم وحده عندى لما
حزنت كثيراً . ولكن كل شيء انهدم يا اندريه .
لم يعد لأياى مذاق . فهى كلماء القراح أجرعه على
غير ظمأ . والمستقبل أمامى محاط بالضباب . يخيل
الى انى هويت قبل الأوان كالثمرة التى تسقط من
الفرع قبل النضوج . أمامى برقية من أبى المسكين
يقول : « ابرق لنا فى حالة نجاحك » . كلمة النجاح
غريبة على اذنى الآن . أأنا أستطيع ان انجح فى شيء ؟
ان اسمى كما تعلم مقيد منذ زمن يجداول المحامين فى
بلادى . انى فى عرف القانون محام . ولكن أى محام ؟ !
لقد كانت فجيعه لأبى المسكين أيام ان كان يسمع

ويرى انى انسى صفتى كمحام . وانحشر فى زمرة
الممثلين . أو اولئك الذين يسمونهم عندنا
« الشخصيات » . والحق انهم فى مصر ليسوا بعد
من الطوائف المحترمة . لقد كان ملحن روائى
(كامل الخلعى) يجلس معى على قارعة الطريق
« يدندن » ويلحن وهو عارى القدمين إلا من
« قبقاب » خشبي . . . تلك كانت بدايتى الفنية
والأدبية . . . فى عين الوقت الذى كان غيرى يبدأ
حياته الأدبية بالكتابة السياسية ، فيظفر سريعا
بالشهرة والاحترام . أولو انى فعلت ذلك لرضى عنى
اهلى بعض الرضا . فالفرق شاسع فى مصر بين
خدمة رجال السياسة وخدمة رجال « التشخيص » !
وها أنذا لم اظفر بشهرة ولا ذكر بينما لمعت أسماء
أولئك الذين اختاروا الطريق الآخر المحترم . . .
فسهل عليهم ايضا بعدئذ كما رأيت ان ينتهوا منه

الى الأدب . محتفظين بأثواب التجلة ومظاهر
التقدير . أما أنا الذى اخترت الفن من البداية صرفاً
صريحاً فلا أستطيع ان انتقل الى شئ . . . غير
الانحطاط الاجتماعى . ولقد خشى والدى المتوجع ان
يجرفنى التيار عن حياة القضاء التى عاشها بشرف ،
فأشار عليه المخلصون أن يقصينى عن مصرفرة من
الزمان . . . فأرسلنى كما ترى الى هنا لعلى أسألو
الفن وانصرف إلى ما يمتناه لى من حياة قانونية
قضائية محترمة . فإذا أنا قائل له الآن ؟ وبماذا أرد
على برقيته ؟ . . ثم أمامى خطاب ممن أحببت
وأوهمتنى بنعيم دام اسبوعين ، تكشف لى فيه عن
المهزلة . ولم تترفق فتترك لى حتى ذكرى تلك
الأيام القليلة سليمة جميلة . لقد شاءت أن تسرد
كل شئ ، حتى الأوهام والأحلام . فجردتنى منها
بعبارة واحدة : « أتمنى انى ما عشت قط هذين

الأُسبوعين « يا إلهى إلى هذا الحد ! وهما هي ذى
تغنى اليوم لرجوع كل ودّ بينها وبين حبيبها الحقيق .
اسمع غناءها من نافذة حجرى فأضحك ... لكن
أى نوع من الضحك ! ثم أمامى قصاصات من نقد
صحف مصر لرواياتى التى تمثل فى القاهرة . فاذا أنا
موضع السخرية . ودراساتى التى لا تؤدى الى نتائج .
وشراحتى فى المعرفة التى تسبق قدرتى الذهنية وقوتى
الجمانية ووقتى المادى . كل شىء حولى يهدمنى
هدماً . . .

باريس — شارع بلبور في ...

عزيرى اندريه :

معذرة لابطاني عليك في الرد . فقد أصبت
ببرد وسعال أقعدني في الفراش أياماً . وأنتهز هذه
الفرصة لأبلغك شكري الخالص لجرمين على قلقها
وعنايتها . . . كما أخبرك أيضاً أنها دعتنى بعد ذلك
إلى وليمة عشاء بمسكنها حيث نصبت المائدة إلى جوار
المدفأة . لن أنسى مطلقاً ذلك الحساء اللذيذ (كريم
فرميسيل) . أهنتك باستكشافي في جرمين ، فضلاً
عن ذكائها وأدبها وخلقها . ذلك الفن الجميل المفيد :
فن الطهى . . . ثقت أنها طاهية من الطبقة الأولى .

انها تستحق « الكوردون بلو » . هل ذقت فطير
الأرز من صنعها ؟ واأسفاه ! كان بي ما يزال أثر
المرض فلم أهاجم على هذا اللون الا هجوماً رقيقاً
على الرغم منى . أكرر شكرى لجرمين على هذه
الوليمة وعلى تلك الغلالة الحريرية التى اعارتنى إياها
لأجعلها حول عنق خوف البرد . جانو يقبلك وقد
قبلته عنك . . . م

باريس — شارع بليور في ...

عزيزى اندريه :

لم اكتب اليك ولا ادرى لماذا لم تكتب الى
انت ؟ لعلك كنت تنتظر ردى . وردى لم اجده
قيمة ولا فائدة لأن كتابك الأخير لم يكن فيه
ما يوجب الرد . أما جرمين فهى على ما تروم . وكذلك
جانو . وقد قابلت جرمين منذ ثلاثة ايام . وليس
عندى ما اقوله . أما انت فقد اثبت لى ان مقامك
فى « ليل » بعيداً عنى تحب قد كشف عن رقة فى
مشاعرك لا أعهدك بها خليقاً . اخشى ان اقول ان
قدمك كادت تنزلق الى شاطئ الخيال الذى كنت

تسخر منه . لا نهزأ قط بالحب والخيال . ها أنت ذا
تستطيع أن تحدثني اليوم عنهما أكثر مما تستطيع
أنا . نعم . لقد كان يخطر لي أحسانا أن الحب هو
العمود الفقري للكون . وإن الله كي يقيم القيامة
وينهى الحياة لن يأمر اسرافيل بنفخ الصور (كما
يقولون عندنا) بل سيأمر « الموت » ليهوى بفأسه
على « الحب » وبموت الحب في الأرض ينتهي العالم .
تصورت ذلك ذات ليلة وأنا في فراشي أطالع تاريخ
المذاهب الاقتصادية . ولقد تركت أوراقها تسقط من
يدي لا أغرق في تفكير عميق حول مسألة بعيدة
كل البعد عن تاريخ المذاهب الاقتصادية . على اني
الآن أنقض هذا الخاطر . ويخيل إلي أن الحب في
هذا العالم عضو سوف يتمكن العلم الحديث من
بتره واستئصاله دون أن تخسر الإنسانية شيئا كبيرا .
مارأيك يا اندريه ؟ أريد رأيك في هذا لأن رأيك

ذو قيمة كبرى . فهو صادر عن منطق طالما أنكر
سلطان الخيال ! أما أنا فقد أنكرته أو على الأقل
سأتر في طريق إنكاره والايمان بالواقع . الدليل : اني أرغم
نفسى الآن على الاستعداد للتقدم لامتحان الدكتوراه
في القانون . إرضاء لأهلى ... لاشئ يعوقنى عن النجاح
غير طبيعتى التى خلقت للضياع فى الفضاء لالوقوع فى
قيود الدكتوراه وحدود المعارف الجامعية . نفسى
قد خلقت لتقرأ ما تريد وقما تريد . لتحيط علما
بكل شئ . وتسعى الى تأمل كل شئ . وتستبقى فى
الذاكرة ما تشاء وتنسى ما تشاء . اما تتبع دراسة
منتظمة لجزء معين بالذات من العلوم يستذكر
استدكاراً ليستفرغ بعد ذلك استفرغاً بين يدي
ممتحنين ومخلفين . . . هنا كل المشكل يا صديقي
اندريه ... ؟

باريس — شارع بلبور في ...

عزيزى اندريه :

وصلتني رسالتك وأعجبت جداً بتلك الطريقة
المدهشة التي جعلتني اعتقد ، ولمدة خمس ثوان فقط ،
اني امتلك ثلثمائة فرنك . ولما يمض الوقت الكافي
لشكر الله وشكرك . بل لما يمض الوقت الكافي
للتفكير في مصدر هذه النقود . لقد أعطيتني
الوقت الكافي لأفرح قليلا . ثم لم تمهلني وصدمتني
بالواقع : وهو ان تلك الثلثمائة من الفرنكات ليست
فقط « غير ملكي » انما هي « طعم » لاستتجار
مائتين من جيبي ! واهاً لك أيها الشيطان ! على اني

غير حاقده عليك ولا ناقم . فخطك حسن . إذ قبل
ورود خطابك كانت نفسي مستعدة لتقبل مثل هذا
الخطاب . وتفصيل الأمر اني البارحة قابلت جرمين
وتحدثنا في أمور شتى فهمت من خلالها ان قسط
إيجار مسكنها سيحل في منتصف هذا الشهر . ومع
ان هذا الأمر لم يكن موضع اهتمام لديها ولا لدى
أثناء الحديث . الا انه جعلني افكر بعد مغادرتها
في مصدر النقود . وفي حالتك وما يجب فعله إذا
اعلنت إفلاسك . ولما كنت اعرف من علم
الاقتصاد السياسي ان الضرائب غير المباشرة عند
أصحاب المذهب الزراعى تقع غالباً وأخيراً على رأس
المالك العقارى . فقد خطر لى انى أنا فى هذه المسألة
بمثابة المالك العقارى . بمعنى ان كل إفلاس أو كارثة
لا بد أن تقع ويجب أن تقع على رأسى غالباً وأخيراً .
هذا هو سر تقبلى رسالتك بصدر رحب على غير

العادة . وقد نفذتها أو سأقوم بتنفيذها بلا تضجر
ولا تبرم . فأنا أحب ان تعرف انى لا أثور ولا
أعنف إلا عند عدم اقتناعى بصواب ابواب الانفاق .
اسرافاً منك أو جنوناً أو اعتماداً على سهولة الاقتراض .
وبعد فانى سأرى جر مين مساء الجمعة القادم كى نذهب
معاً للمشاهدة رواية جديدة فى مسرح الحى ، وأرجو منك
ان تدع جر مين تفهم ان صلاتى بها لا تستمد قوتها
من صداقتك . انما هى صداقة اخرى مستقلة تقوم
على احترامى لشخصها وتقديرى لذكائها . فأنا لا
أحب لجر مين ان تفهم انى موفد من قبلك لأخرجها
للنزهة بين آن وآن . ولا انى اتكلف هذا قضاء
لواجب من الواجبات . على انى قد ضحككت كثيراً
وانت تخبرنى فى خطابك انها لن تنسى ذلك
التفانى منى فى خدمتها وانها لا تشكو إلا امراً
واحداً : هو انى لم احاول قط مغازلتها ! يا لظرف

الباريسات ! أو كانت تظن انى وأنا الشرقى أجرؤ على
ذلك فى غيبتك ؟ أفهمها انى سأحاول ذلك مرة فى
حضرتك . لتعلم انى لست ممن يستهين بجمالها ، ومع
ذلك فهى لا تجهل أى سرور أجنیه وفائدة لا تقدر أن
يتاح لى لقاءها من حين إلى حين ، فانك لن تتصور
مقدار ما يحدثه جلوسى اليها من نتائج فكرية .
انك تعرف مقدار فائدة المرحوم إيفان لى وفائدة
الشاعر البارناسى الهرم . . . ها أنت ذا ترى كل شىء
يدفع ثمنه فى هذا الوجود . وان ما تحسبه خدمات
أقدمها اليها لا يعدل ما تؤديه هى إلى . وما تؤديه
أنت أيضاً ، من فوائد إلى شخصيتى وهى فى سبيل
تكوينها ، لا تسخر ولا تتهمنى بالاسراف فى الخيال .
كلا يا اندريه ، غداً تزول الحاجات المادية ولن يبق
لنا غير ذلك الربح المعنوى الذى اكتسبه أحدنا
بمعرفة الآخر .

وختاماً أقول لك ان أحوالى التى تريد أن
تصغى إلى أنبائها سوف أحدثك عنها فيما بعد . وأما
روايتى التى كتبت منها قليلاً فقد أهملت شأنها منذ
شهور ، وقد انتهت رأيى إلى استحالة المضى فيها وأنا
في هذه البيئة الأروبية العاصفة . هذه البيئة الحديثة
وما يسود فيها من جو « المودرنزم » يفسد حسن
فهمى للأشياء ويحول دون تعرفى حقيقة شخصيتى
فى الفن والأدب . أنا أحب « المودرنزم » وأخشى
أن أقول لك انى أقلد أساليبه على الرغم منى . وهذا
بالذات ما يخيفنى ويدعونى إلى التريث حتى تهدأ
عاصفة هذا الفن الحديث ونعرف إلى أى حد يستطيع
أن يثبت إلى جانب الأساليب التى اعترف بها
التاريخ . لقد شاهدت فى المسارح أخيراً قصصاً
تمثيلية على طراز النزعة الحديثة مثل قصة
au grand large . كما شاهدت قصص ما قبل الحرب

مثل «الماضى» لبورتوريش و «الجدول» لبيير فولف
واطلعت على رأى النقاد فى ذلك . أتدرى ماذا فضل
النقاد ؟ انهم فضّلوا قصص (ماقبل موجة المودرنزم)
ورأوها هى الخليفة بالبقاء....

باريس — شارع بلبور في ...

عزيزى اندريه :

لست أدري أمن سوء حظى أو من حسنه
انى أعيش الآن فى أوروبا وسط هذا الاضطراب
الفكرى الذى لم يسبق له مثيل . فهذه الحرب
الكبرى قد جاءت فى الفنون والآداب بهذه الثورة
التي يسمونها « المودرنزم » فكان لزاما على أن
أناثر بها . ولكنى فى الوقت ذاته شرقي جاء ليرى
ثقافة الغرب من أصولها . فأنا موزع الآن . كما
ترى : بين « الكلاسيك » و « المودرن » . لا
استطيع ان اقول مع الشائرين فليسقط « القديم »

لأن هذا القديم أيضا جديد على... فأنا مع أولئك وهؤلاء... انى اخرج مثلا من متحف اللوفر متحمسا لأعمال « تسيان » و « دافنتشى » و « فلاسكز » و « جويا » و « مملنج » و « فان ديك » لأدخل بعد ذلك توأ معرض الخريف أشاهد أحدث لوحات الفن الحديث بألوانها الصارخة « الفاقعة » وخطوطها البسيطة العارية . إن الفكرة المسيطرة على الفن الحديث هي : الفطرة والبساطة . يطلبون في الفطرة النضارة . ويذهبون في البساطة إلى حد التركيز . لقد غالوا في التركيز لدرجة المنادة بفصل عناصر كل فن عن الآخر فصلا تاما . فالتصوير وهو فن الألوان . يجب ان يستغنى عن الموضوع . لأن الموضوع من عناصر القصة . والشعر وهو فن الشعور يجب أن يستغنى عن العقل الواعى (مذهب الدادايزم) ، والموسيقى وهى فن الأصوات يجب ان

تستغنى عن الشعور . والنحت وهوفن الاحجام يجب
أن يستغنى عن الافكار ... الخ ... وهذا قليل
جدا مما جاءت به نظريات « المودرتزم » . ولا أحب
الاسهاب فيها لأننى أكره النظريات فى الفن . فالفن
عندى خلق إنسانى جميل لا أكثر ولا أقل . وقد
يكون فى المودرتزم نفسه . على الرغم من نظرياته .
بعض جمال . ولكن ذلك لن يدعونى مطلقا إلى
النساء بسقوط « رفايل » و « لافونتين »
و « بيتهوفن » من أجل ثورة تنادى بها طائفة تحاول
بأى ثمن الاتيان بجديد . لقد قرأت أخيراً لكاتبة
فرنسية « مودرن » تقول عن حركة « المودرتزم »
مامعناه : ان بعد عشرين قرناً من حضارة مفعمة
بألوان البراعة الذهنية والحدلقة الفكرية وحياة
الصالونات والأكاديميات ، غدت الدنيا مثل غانية
عجوز مفرطة فى الزينة والبهرج والأصباغ بمقدار

بعث في الناس عطشاً إلى عصور الفطرة الأولى
بناسها العراة وإحساسها المجرد . وإن قيمة الفن
الحديث هي في أنه يحاول أن يعيدنا إلى النضارة
الفطرية البدائية وإلى مصادر الالهام الأولى ... » .
قول هذه السكاتبة صحيح . فإن مصادر الفن الحديث :
سواء في الروح أو في الأسلوب : مستمدة حقا من
الفنون الأولى مباشرة . إن أثر مصر القديمة ظاهر في
العمارات الحديثة والنحت الحديث . بل إن الامعان
في طلب الفن الفطري وصل إلى حد استلهاهم فن
الزنوج . إن أثر الفن الزنجي واضح في التصوير
الحديث والموسيقى الحديثة والرقص الحديث .

سأحدثك في رسالة أخرى عما سمعت أخيراً
من موسيقى . إني لا أترك الآن أسبوعاً واحداً
دون أن أذهب إلى قاعة كونسير « بلييل » أو إلى
كونسير « كولون » أو « بادلو » . بل إني أحضر

حفلتين أحياناً في يوم واحد . ولقد حضرت الأسبوع
الماضي ثلاث حفلات موسيقية في يوم السبت
والأحد . فقد أدوا في الأولى : « ذهب الرين »
لفاجنر . وفي الثانية : « السانفوني فانتاستيك »
لبرليوز . وفي الثالثة « السانفوني » السابعة لبيتهوفن .
سوف أحدثك أيضاً عن الموسيقى الإسبانية وقد
حضرت فيها حفلتين : إحداها للموسيقى هافتلر . كما
إنني أحدثك عن الموسيقى الروسية بعد أن سمعت
للمرة الثانية « سادكو » لرمسكى كرساكوف ...
على ذكر « فاجنر » وصداقته المعروفة للفيلسوف
« نيتشه » كدت ألمس بنفسى أثر تلك الصلة الفكرية
بينهما وأنا أضغى إلى نغمة « سييجفريد » المتكررة ...
تلك التي يسمونها الـ Leitmotiv . . . إن استخدام
« فاجنر » لنغمة واحدة بالذات يطلقها رمزاً لكل

بطل من أبطال « أوبراته » ويجعلها تعود كلما عاد
البطل إلى الظهور ، لتذكركني بكلمة « نيتشه » :
هنالك حادثة متكررة تعود من آن إلى آن في
حياة كل إنسان « ... »

باريس — شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه :

أرسل اليك ما كتبتته من الرواية منذ شهر
وهو كما ترى فصل وشيء من فصل . اقرأها واخبرني
برأيك . وثق كما أخبرتك أنه ليس في عزمي مطلقاً
أن أتم هذا العمل رواية كاملة للأسباب التي
ذكرتها لك . وأزيد عليها سبباً آخر : انى لا أدرى
بأى أسلوب بدئت وبأى أسلوب تحتم . فأسلوبى
الآن خاضع لتطورات سريعة مستمرة . ولقد سبق
لك أن اطلعت على قطعة « الحلم » التي أرسلتها

اليك وهي تختلف في أسلوبها عما ستقرأ من هذه
الرواية . على ان الذي أرجوه منك هو أن تعيد إلى
المخطوطة بعد قراءتها لأنني لا أملك نسخة
أخرى ... م

باريس — شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه :

تفدت طلباتك بالتمام ، وعلمت أن جرمين لم
تبطيء عليك في رسائلها عن قصد سيء . لا تجعل
الخيال يضلك أنت أيضاً أيها المتشدد بكلمة
« الواقع » : آه الآن فهمت أنك كنت ظالمى
بسخريتك من حبي المنحوس وعواطفى وخيالى ؟ ..
لقد انتقم لى القدر !

والآن دعك من تفاصيل الحياة التافهة .
حدثنى بخطرات بعيدة عن التفاصيل . خطر
منبعها تفاصيل وليس فيها تفاصيل . ماقيمة التفاصيل

في هذه الحياة إن لم تكن لاستخراج قوانين عامة
أو أفكار أجميلة ؟ يسرني كثيراً أن أراك قد هددت
لنسترجع فيك « اندريه » الواقعى الرزين المازح .
أما نواحي ضعفى التى أثرت اليها فانى أحب أن
أعرفها واضحة جلية وإلا فلست لى بصديق . وأما
الموسيقى فقد سمعت فى السبت الماضى (السانفونى
دومستيك) لريتشارد سترأوس . و (أغانى الأناضول)
لموسيقى تركى هو (جمال راشد) . وقد سررت
كثيراً بهذه الأغانى لأنى استطعت أن أتنبأ بحالة
موسيقانا القومية فى مصر والشرق لو وضعت داخل
هذا الاطار الفنى L'orchestration . ويظهر لى أن جمال
راشد قصد إلى ذلك . غير أنه فيما يخيل لى قد
أسرف فى تقليد الموسيقى الروسية فلم أتمكن من
تعرف ملامح الموسيقى التركية فى صميمها إلا فى
قطعة واحدة .

ولقد ذهبت أمس (الأحد) إلى اللوفر
كعادتي . وإنك تعلم لماذا أواظب على الذهاب إلى
اللوفر كل أحد . فهذا هو اليوم المخصص للدخول
بالمجان . وإني لأنفق طول يومى هناك دون أن
أحس مر الوقت . بل إني أدركت منذ أسابيع
خطأ التورّع بين قاعات المتحف فى يوم واحد .
ذلك شأن المشاهد السريع . أتدرى ماذا أصنع الآن
يا اندريه ؟ إني أخصص يوما كاملا للقاعة الواحدة .
فأنا لست سائحاً متعجلاً . إني أبحث أمام كل لوحة
عن سر اختيار هذه الألوان دون تلك . وعن
مواطن برودتها وحرارتها . وعن رسم أشخاصها
وبروز أخلاقهم ، واتساق جموعهم ، وحركتهم
وسكونهم . كل لوحة فى الحقيقة ليست إلا قصة
تمثيلية داخل إطار ، لداخل مسرح ، تقوم فيها الألوان
مقام الحوار . إني لأكاد أصغى إلى أحاديث الأبطال

وهم على الموائد في أفراح « قانا » لوحة « فيرونيز »
وأ كاد أسمع ضجيج الحاضرين وصياح الشاربين ورنين
السكرؤوس وخرير النبيذ يفرغونه من دن إلى دن .
إن طريقة إبراز كل هذه الحياة بالريشة لقريب من
طريقة إبرازها بالقلم . إن أساس العمل واحد فيهما :
الملاحظة والاحساس ثم التعبير بالرسم والتلوين . بل إن
الروح أحيانا ليتشابه . لطالما وقفت عيناي طويلا على
صفحات ناثر أو شاعر، وأنا كلما أخذ ، أخص السطور
بيدي لأبين إن كانت من مداد أو من أثر . إن روح
الكاتب أو الشاعر لتشف أحيانا وتتحرك في
الأجواء بلطف كأنها نسيم راقص ... هذا الشعور
ملا نفسي وبصرى أمام لوحة مثل لوحة « الريمس »
لبوتيتشلى التى يصور فيها رقص « الحسان
الثلاث » فى غابة البرتقال و « فينوس » قربهن تتبع
بيدها وقع الخطى . و « النسيم » من حولهن يعانق

الأزهار ... أو مثل لوحة موريللو عن « صعود
العذراء » وهي في جمالها الطاهر تحترق السماء وفي
ذيلها القمر ومن حولها الملائكة ... ان الشعر والرقص
والموسيقى ليتناثر أريجها مجتمعة في جو مثل هذا
الفن العظيم ...

باريس — شارح بلبور في . . .

عزيزى اندريه :

سررت لخطابك الضخم الذى انهلت على فيه طعناً
وتقطيعاً وتجريحاً . ولا أستطيع كيف أشكر لك
عنايتك بتحليل شخصيتى المنكودة . ومع انك تزعم
ان قسوتك كان الدافع اليها الانتقام فهذا عندى لا يغير
شيئاً من جوهر الموضوع مادامت النتائج التى وصلت
اليها صحيحة . كانعم ان خيالاتى الكثيرة التى أحيا
بينها تسبب لى تارة الآلام ، كما تقول ، وتارة
الأحلام التى ان تتحقق يوماً . هذا صحيح .
وأكثر منه يا اندريه ان خيالى مع الأسف ليس

من نوع الخيال المتمر الذي خدم الشعراء والكتاب
بل هو من نوع الخيال المهلك الذي أضاع في وديانه
الصحيفة كثير آمن عاثرى الحظ الذين حسبوا أنفسهم
شعراء زمناً طويلاً وهم ليسوا بشعراء . ثم هنالك
شيء آخر أخالك لم تلتفت إليه هو طبيعة التي تميل
إلى عدم الأخذ بما يأخذ به الناس جميعاً من أوضاع ،
هرباً من الوقوع في الابتذال وشغفاً جنونياً بالتميز
والأغراب . ففي لبس لا أرتدى كما يرتدى الآخرون
ولا أدخن لأن التدخين عادة عامة . وربما دخت
لو انقطع الناس عن التدخين . لا أهدي إلى حبيبتي
الأزهار الجميلة ولا العطور اللطيفة بل أهدي إليها
بيغاء في قفص . ولا أكتب إليها مباشرة عن الحب
بل اتبع طرقاً لن يتبعها عقلاء الناس . وتسألني
بعد ذلك لماذا أحب «المودرنزم» ؟ أليس لأنه أقرب
الفنون إلى الخروج على المتبع المؤلف ؟ لقد قالها أحد

النقاد الحاسدين على هذا الفن الحديث : « ان أهل
 هذا الفن يأتون كل سخيف مهجور بحجة حرية
 الابتداع والتفنن في الابتكار » الواقع اني وجدت
 في هؤلاء ، لا فقط مأواى ومعتلى ، بل وجدت كل
 طبيعى وما تنطوى عليه من حمق وجنون . لقد
 وجدت على الأقل سنداً وأساساً لرغبى المحركة في
 الخروج على ما أسميه « المنطق العام » . وأقصده
 المنطق المبني على فروض عامة مصطلح عليها غير
 متنازع في صوابها . كالفرض بأن الغيرة مثلاً دليل
 الحب أو ان الخيانة رذيلة فالنتائج المترتبة على هذه
 الفروض العامة تكون في الغالب هي الأخرى نتائج
 عامة . ويصح عندئذ تسمية كل ذلك بالمنطق العام .
 أريد أن يكون هنالك منطق خاص ، يحوى فروضاً
 خاصة لا تخضع للمألوف من الآراء والمشاعر ، كالفرض
 بأن الحب لا يحوى غيرة مطلقاً ولا بغضاً مطلقاً .

ومن مثل هذه الفروض تتولد نتائج خاصة . ومن

خلاصة كل ذلك يقوم ذلك الذى أسميه (المنطق

الخاص) ... لذلك تجذنى افهم حركة « المودرتزم » على

الوجه الآتى : هى اتجاه إلى عدم التقيد بالمنطق العام

والنزوع إلى المنطق الخاص . كما كان « الرومانتزم »

بالنسبة إلى (الكلاسيكيزم) فى بعض مظاهره

ينزوعاً فى التفكير والعواطف من العام إلى الخاص .

مع هذا الفارق فى نظرى بين الرومانتزم والمودرتزم :

ان الأول لم يحاول هدم الفروض الأساسية المألوفة

أى المنطق العام . فى حين ان الثانى ينحو إلى هدم

هذه الفروض العامة وإحلال فروض خاصة فى مكانها

أى إنشاء منطق خاص . سواء كان هذا التفسير

صحيحاً أو غير صحيح فهو كلامى الذى يعكس طبيعتى

الآن ورغباتى الحاضرة . انه عقيدتى الخاصة فى هذه

الأيام لا بالنسبة إلى المودرتزم بل بالنسبة إلى نفسى .

صدقت يا اندريه في قولك انى أصلح أن أكون
رياضيا وان أفكرى وتصرفانى تكاد تسير على طريقة
هندسية أو حسابية أو جبرية . هذا صحيح .
ولا أدري كيف اهتديت الى ذلك . انا مع الأسف
كذلك . وهذا ماسوف بهدم كل عمل مسرحى
أو فنى أحاول إنشائه . ان إسقاطى الحياة والعواطف
كما هى وكما يراها ويحسها دهاء الناس (وركونى الى
الطريقة الرياضية فى تصريف أفكرى وتأملاتى
لمصيبة كبرى . واليك دليل آخر فى قطعة (الحلم)
التي أرسلتها اليك . انك ولا شك لم تجد فيها أى
صورة تنطبق على الحياة وعواطف الحياة ، ولكنك
قد وجدتھا متمشية مع العقل والمنطق الذى تقتضيه
فروض خاصة أنشأتها أنا فى البداية . تلك هى
الرياضة : فرض وعقل ومنطق . التصوير الحديث
أخرج من حسابه العواطف البشرية وجعل

أساسه الهندسة والمنطق العقلي الواعى وغير الواعى
والموسيقى الحديثة أيضاً ... ياللبلاء ! انى أحب الفن
الحديث وأقلده أحيانا وأخشاه وأخشى منه على
نفسى ... م

عاشية - أ أكثر من رسائلك يا اندريه فهى متعنى
الوحيدة الآن . فأنا محبوس فى حجرى أستعد
لامتحان الدكتوراه فى أول مارس القادم ... م

Doctorat

باريس — شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه :

يجب أن تعلم انى لم أكن حراً طليقاً فى اختيار
الموقف الذى وقفته منك الشهر الماضى . فهناك
عوامل جعلتني أتلقى كلامك بكل تحفظ وأضع
نصحي على أساس العقل والحزم لا على أساس الخيال .
وما هو العقل والحزم عندي فى ذلك الوقت ؟ تلك
نقطة الخلاف بيننا . وربما كان سبب الخطأ اعتقادى
ان كل ما بك لا يزيد عن مجرد « مرض الغربة »
دهمك على أثر وحدتك الفجائية . نخيلى إلى أن الدواء
هو فى تشجيعك على الاستمرار فى تحمل هذه

الوحدة . وكان ان ذكرت لك كلمة « إبسن » :
« الرجل القوى هو الرجل الوحيد » . وتحاشيت
أن أثير فيك الذكريات الجميلة والتحرق على السعادة
التي خلفتها في باريس . أجل يا اندريه . لقد كنت
قاسياً عليك قسوة الطبيب الذي يمنع الماء عن مريضه
الظمآن بحجة الطب والتطبيب . مهما يكن المنطق
يبرر هذا الجرم فان ضميري غير مقتنع . وقد لعنت
نفسى لما سببته لك من ألم . انك تعرف انى بطبعي
لست ممراً يقفون عادة مثل هذه المواقف نحو
العواطف . انى أحب الحب . وانك لتعرف أن
للحب مقاماً كبيراً عندي في الحياة . في كل حياة .
وربما كان الحب هو الشيء الوحيد الجميل الذي نعيش
به ومن أجله نحو البشر . آه لو كان القدر أعطاني
هذه المنحة لحظة واحدة ! وجعلنى أجداً أحداً يحبني
حقيقة مرة واحدة ! أنا الذي اعتقد طويلاً أن

عظماء الرجال هم عظماء المواطف وأقوياء الرجال هم
أقوياء العواطف . إن الذي لا يعرف ولا يستطيع أن
يحب إنسانا لن يعرف ولن يستطيع أن يحب
الإنسانية . لقد كان آلهة اليونان يحبون ويتألمون وهم
آلهة . وهم رمز القوة . إن الحب والقوة لا يتعارضان .

ولماذا لا نقول انهما في عين الطريق يسيران ؟ ليس
عشياً . أن تقوم المسيحية على فكرة حب الله مريم
وإيجاد عيسى ثمرة لهذا الحب . إن المعاني التي يمكن
استخراجها من هذا الرمز لا حدها ...

لست أنا إذن يا ندر به الذي يعيب عليك الاسراف
في حب زوجك وولده ! وبعد ... فقد مضت أيام لم
أر خلالها جرمين وجانو لأنني كما تعلم سجين حجرتي
أطالع وأدرس . ثم لسبب أشد وأمر : الافلاس .
نعم غطاني بردائه الأسود فلم يبق معي غير ثمن
شريحة اللحم . (على حد قولك) من أردإ نوع ...

حاشية — بعد أن ختمت هذا الخطاب وصلني
الآن بالبريد السريع رسالة من جرمين داخلها ورقتان
ماليتان بمبلغ عشرين فرنكا (على سبيل الاعانة) كما
تقول . وهو كل ما استطاعت أن تنقذني به . واني
اشكرها واسأل الله ان لا يوقعها فيما أنا فيه ...

باريس — شارع يلبور في . . .

عزيزى اندريه :

وصلنى خطابك ومعه مبلغ الأربعمائة الفرنكات
وإني أشكرك . الآن تستطيع ان تطمنن على
هدوئى مدة شهر ، على شرط ان لا تسمعنى انت
ذكر النقود . حبذا لو نسيت استعمال هذه الكلمة
الملعونة بعد الآن فى رسائلك إلى ! أملى كبير فى أن
تحقق رجائى ولا تطلب إلى بعد اليوم سنتيا . تلك
يا اندريه هى الطريقة الوحيدة لتصحيح مركزك
المالى ومركزى أنا ايضا . أنا كذلك لن اطلب
عندئذ سنتيا من دائئى . سأعطيه ما اعطينتى اليوم

وأقسط الباقى . كما تصنع معى . وبذلك أضمن لك
وأضمن لنفسى تصفية نهائية لهذه الكارثة . على أنك
قد أدهشتنى كل الدهش إذ لا تزال تذكر على سبيل
الجد تلك الحكاية القديمة التى أخبرتك بها : رصيدى
فى البنك لذلك المبلغ الصغير الذى ربحته ثمناً لرواية
تمثل لى فى القاهرة . ألا ترى واضح همى فى أعماق
نفسى لا أجهر بالشكوى ولا أتفجع ولا أتوجع
تظن أنى نائم على رصيد فى بنك ! أغاب عنك أيها
المحترم انى أحببت ، وان حبي كان مما يتغذى بالنقود
كما تتغذى النار بالوقود ! انك تذكر جيداً ان
الرصيد قد ذهب فى هدايا النويل والمطاعم الغالية
من بوكاردى الى حازن الأب لويس . والملاهى الفاخرة
والمسارح العاصرة ! أنا أيضاً على ديون مثلك وما
تسدده لى يدخل فى جيوب غيرى . حالى مثل حالك .

على أنك أنت قد خربت وبقى الحب . أما أنا فقد
خربت وضاع الحب ! ...

وبعد فاني الآن جاد في الاستعداد للامتحان
في أول مارس . وهي آخر فرصة لي ، فاذا ضاعت
فاني أقطع الأمل نهائيا في نوال الدكتوراه . ذلك
ان البرنامج بعد ذلك يتغير وبهذا يذهب هباء كل
ما قرأت فيما مضى . ثم اني لن أستطيع التقدم مرة أخرى
إلا بعد مرور عام على الأقل ، بالبرنامج الجديد . فأول
مارس كما ترى هو التاريخ الفاصل في أمر مستقبلي
الدراسي للقانون . وفشلي فيه سوف يكون صدمة
كافية أن تقصيني الى الأبد عن طريق الحقوق .
فهذا الامتحان هو حدث هام في حياتي . ولا أريد
أن أتهاون فيه حتى لاتأني التبعة علي وعلى إرادتي .
فأنا أجهد نفسي فوق الطاقة لأضع التبعة على رأس
القدر . فاذا أراد هو أن يصدمني ليخرجني من سجن

القانون إلى قضاء ... إلى أي قضاء ... فذلك إذن إرادته
هو لا إرادتي .

أرجو أن تعيد إلى الرواية بالتالي . فأننا لست أدري
ماذا قام برأسي فجعلني أرسل اليك شيئاً مثل هذا
لم يتم . وحبذا لو أعدتها قبل أن تقرأها . اما إذا
كنت قد قرأتها وقضى الأمر فاكتب إلي برأيك
فيما قرأت ... م

حاشية — فأنني أن أخبرك اني ذهبت منذ يومين
لمشاهدة « اندروماك » لراسين في الكوميدي فرانسيز .
وقد خطر لي ان اصطحب جرمين . ولكنني بحثت
في جيبي فلم أجده معي غير ثمن مقعد بالمسرح « في
أعلى عليين » ... وحتى لو كان معي أجرة مقعد آخر
يجازي لخجلت ان ادعو اليه جرمين ... ان الارتفاع
والعلو موضع نخر في كل شيء إلا في المسارح ! :

آه يا اندريه ... ان تمثيل التراجيديا عمل ليس بالهين .
 ذلك ان المطلوب من الممثلين ليس مجرد تفسير
 النصوص طبقاً للروح الفلسفية والاسطورية التي
 تنطوي عليها هذه الآثار ... ولكن كذلك طبقاً
 لأوضاع الفن « البلاستيك » كما عرفه الأغريق .
 ان كل وقفة فوق المسرح من وقفات ممثل التراجيديا
 يجب ان يكون لها جمالها المثالي في فن النحت . كل
 ممثل أو ممثلة للتراجيديا يجب ان ينتقى من بين اصحاب
 الاجسام التي تصالح في ذاتها نماذج فنية للمثالين ،
 إن الصلة لوثيقة جداً بين فن النحت وفن تمثيل
 التراجيديا ... كما هي وثيقة بينه وبين فن الموسيقى .
 إن اصوات ممثلي التراجيديا لا تفتقى عفواً ولا تلقى
 عفواً . فليس الالتقاء الطبيعي هو المطلوب في
 التراجيديا ، كما هو الحال في الدراما أو الكوميديا .
 وإنما يجب ان يكون الصوت والحركة في التراجيديا —

كما هو الحال في « الأوبرا » — خاضعين قبل كل
 شيء للأوضاع المعروفة في فنون النحت والموسيقى
 والعمارة والتصوير . لذلك كنت مخطئاً في حكمي يوم
 شاهدت لأول مرة في السكوميدي فرانسيز ممثلة
 التراجيديا « سيجون فيبير » والممثل التراجيدي
 « البير لامبير » يلقيان الشعر على نحو اعتبرته انا
 خارجاً على الطبيعة . وهل الشعر بنظمه وقوافيه
 وأوزانه الموسيقية إلا من الفنون الخارجة على
 الطبيعة ؟ . . . وما دام هو كذلك فيجب أن يؤدي
 متسقاً لا مع الطبيعة ، واسكن مع غيره من الفنون
 التي تتصل بها التراجيديا . . .

باريس — شارع بليوز في ...

ء زيزى اندريه :

لا شك أنى است كريم الخلق بالفطرة والسليقة .
أمس هبط على الشاعر البارناسى فى حال يرثى لها ،
فلم أمد له يد المعونة كما ينبغى . يجب قبل كل شىء
أن تعرف من هو هذا الرجل عندى ؟ انك لم تره
غير مرة واحدة معى فى قهوة « الدوم » . وقد غاظك
منا اشتغالنا عنك بمناقشات فنية طويلة عن الفروق
الدقيقة بين المدرسة الايطالية والمدرسة الفلمنكية
فى التصوير . فركتنا ساخرأ وأنت تهمس فى أذنى :
« أين هذا الشيخ المتهدم الذى جاوز الثمانين من تلك

الصبيبة الحسنة التي تنتظرنى فى « الروتوند » ؟ !
ولكنك تذكر أن إغراءك فى تلك المرة لم يصادف
عندى نجاحا . إن الجلوس إلى ذلك الشيخ المتهدم كان
ينسبى مفاتيح الدنيا . لأنه كان يربنى مفاتيح الفن .
هو الذى فتح بصري على جمال الفن « البلاستيك »
من نحت وعمارة وتصوير . كما أراح لى مسيو « هاب »
الستار قبل ذلك عن جمال الآداب القديمة . فقرأ
معى الإلياذة وبعض مآسى سوفوكليس وأبروييد
واشيل وكوميديات ارسطوفان ... ثم ترك حبلى على
غاربى . وقد تمكن منى داء المعرفة . فتركته
وانطلقت وحدى ألتهم كل شىء من قديم وحديث .
وكما حدث مع والدتك يوم كنت أقطن عندها فى
« كورنفوا » . وتذوقت لأول مرة غناءها
للأوبرات . فكنت أنتزعها من المطبخ أنتزاعا
لتذهب إلى البيانو « بفوطتها » تغنى لى المقطوعات

الجميلة في « كارمن » و « فاوست » و « اجراس
كورنفيل ». إلى أن عرفت طريق دار الأوبرا
والأوبرا كوميك ثم قاعات الكونسير « كولون »
و « جافو » و « بادلو ». فلم أعد اليها بعد ذلك قط .
على أن والدتك وكذلك مسيو « هاب » ليسا في
حاجة إلى حسن المعاملة . أما ذلك الشاعر المسكين
فله شأن آخر . أنه لا يكاد يجد الآن ما يسد به رمقه .
أنه كان شاعراً معروفاً يوم أخرج مجموعة شعره
الكبرى . ولقد أراني نسخة من الطبعة الأولى
صدرت منذ نصف قرن . وقصاصات من نقد ذلك
العهد تمنعته بأنه من أركان مذهب « البارناس » .
ولكن الشعر لا يستطيع أن يقيم أود إنسان إلى
ما بعد الثمانين . فهو اليوم بأُس حقا ، يعيش في حجرة
قذرة « مانسارد » ويأكل مما تجود به معونة
أصدقائه ، ولعل أكثرهم قد مات الآن . وهو قد

فرح بي يوم عرضت عليه أن يقودني إلى المتاحف
وآثار الفن وأن يلزم أحدنا الآخر كلما استطعنا
إلى ذلك سبيلا ، على أن أتكفل أثناء ذلك بنفقات
غدائه وعشاءه وتبغعه وشرا به . وهو يستحق أكثر
من هذا ولكن ماليتي كما تعلم محدودة . ومع ذلك
فما كنت أتركه بعد كل لقاء دون أن أدس في يده
ورقة مالية صغيرة ، وأنا أقول في نفسي « اجعل انك
اشتريت بهذا المبلغ كتابا » وما أكثر الكتب
التي أبتاعها في كل يوم كما تعلم بالمال المخصص لكسوة
الشتاء ، على أن هذا الرجل كان لي خيراً من ألف
كتاب ، أنه كتاب حتى متنقل مترك قاعة في متحف
اللوفر ، أو حديقة فيها تماثيل ، أو كاتدرائية أثرية
دون أن يذهب بي إليها ويقف بي عليها شارحاً مفسراً .
إني لم أزل أذكر لقاءنا الأول وقد أحضر معه إلى
القهوة « صرة » صغيرة ، سألته عنها دهشاً .. ففتحها

بحرص واعتزاز دون أن ينبس ... فاذا هي مجموعة
أثرية صغيرة ، عن العصور الحجرية الأولى ، أو ما
يسمونه « المجاليت » وأخذ بوضوح لي المظاهر الأولى
لفن العمارة في « المنهير » و « الدولن » ... ذلك انه
اراد ان ابدأ في معرفة الفن من البداية ... فأراني
تطور النزعة الفنية منذ الانسان الأول ... وقادني الى
متحف التاريخ الطبيعي ... ثم الى دار الكتب ...
وهناك رأيت لأول مرة تمثال « افروديت » بغير
رأس ولا ذراعين ولا ساقين . ولكن أى جمال !
« لاشئ اجل من جسد امرأة » تلك هي الصيحة
التي لفظناها أمام هذا التمثال . لقد قلت لصاحبي
الشاعر يومئذ اني قد فهمت المعنى الحقيقي لكتاب
« بينز لويس » عن افروديت ، انه ولا شك قد رأى
من تماثلها هذا ما رأينا : ... كيف استطاع ذلك
النحات الاغريقي ان يستخرج من ثديين وردفين

(لأن التمثال ليس أكثر من ذلك) جمالا ارتفع
إلى القدسية ؟! « بيير لويس » أراد ذلك أيضاً بلا
جدال ، فأشاد بجسد المرأة إشادة لم تفهم أحيانا على
الوجه الذى أراد ... وهكذا كننا نتحدث ونتناقش
أمام كل تمثال أو صورة أو أثر فنى ... ويجرنا الحديث
من فن إلى فن ، ومن مقارنة إلى مقارنة . فالآداب
والفنون والعلوم وكل مظاهر النشاط الذهنى متصل
بعضها ببعض إلى حد قد لا يصدق لأول وهلة .
فالمعرفة سائل فى إناء عناصره كل هذه الأشياء ...
وأخيراً جاءت الساعة المحتومة . لقد تفتحت عيناي
وانتهى الأمر .. وعرفت كيف أبصر دون حاجة
إلى دليل . وعرفت كيف أقرأ فى ذلك الباب . فهذا
(هيبوليت تين) و (جان مارى جويو) و (جرانت
ألن) و (جون رسكن) و (سالمون ريناخ) الخ ...
وعشرات الكتب الفنية المصورة عن أعمال المصورين

والنحاتين . وهذا هو (اللوفر) و (اللوكسمبورج)
ومتحف « رودان » والمعارض السنوية الدورية .
ثم بعد ذلك كله وهو الأهم ... هذا هو تفكيرى
الشخصى قد تكون بعض الشئ ، ونظرتى الخاصة
بدأت تطالبنى بأن أستقل فى التأمل والتقدير
والاستنتاج . جاءت اللحظة التى شعرت فيها بوجوب
السير بمفردى ... وكانت بوادرها ذلك اليوم الذى
أدركت فيه ان محادثات ذلك الشاعر لم يعد فيها
جديد يثير اهتمامى أو التفانى . ولقد شعر المسكين
بذلك فكف عن الحديث فى الفن . وندرت مقابلاتنا
واقتصر الكلام أثناءها على التافه من أمور الدنيا .
إلى أن انقطعت ، وانصرف كل إلى شأنه ، فأصبحت
لا أراه إلا إذا اشتدت به ضائقة أرغمته على اقتراض
بعض النقود منى . ولقد جاءنى أمس كما قلت لك فى

الصباح المبكر فاستيقظت ساخنا متبرما فأبصرته
يرتعد من البرد ويقول لى : « إذا لم أجد دثاراً ثقيلاً
فى هذا الشتاء فانى لن أظل حياً حتى مطلع الربيع »
فلم أرد عليه بكلمة ، ولكنى أخرجت له ورقة
مالية صغيرة وضعتها فى كفه كأنه شحاذ ، فرفع
الشيخ قبعته شكرًا وانصرف صامتًا . وعدت إلى
فراشى لأستأنف رقادى . فقد سهرت ليلتى أطالع
كالعتاد . ولكن النوم هرب منى . لقد تنبهت
لما حدث ، وتمثل لى سوء فعلى . كيف أصنع معه
ذلك ؟ وكيف أتركه يذهب هكذا بقليل من نقود
لن تغنيه شيئًا . وتذكرت هيئته الذليلة ساعة
انصرافه صاغراً مدعنا لحكم القدر أو حكمى أنا
على الأصح ، وكانت آخر لفظة قالها برغم ذلك هى
Merci beaucoup خرجت من فم خافتة مخلصه

لا أثر للمرارة فيها — ولا للعتاب ... هنا أدركت
انى لو كنت حقاً كريم النفس لألقيت على
منكبيه الهزيلين معطفي بغير تفكير ولا تدبير
ولا تردد ... م

باريس — شارع بلبور في ...

عزيزى اندريه

لقد لفظ القدر كلمته . انه لا يريد لى طريق
القانون . لقد رسبت فى ثلاث درجات ، ولم ترد لجنة
المحلفين جبر النقص بينما وافقت لجنة أخرى على جبر
أربع درجات لأحد أعضاء البعثة . من هذا ترى ان
القدر لم يرد أن يمد إلى يده كما مدها إلى غيرى .
لماذا ؟ إياك أن تفهم انى تهاونت فى الدرس . لقد
كانت اجابتي مرضية جداً فى علم تاريخ المبادئ
والمذاهب الاقتصادية (آراء ارسطو حتى آراء كارل
ماركس) وكذلك فى علم الاقتصاد السياسى وكذلك

في علم التشريع الصناعي ، ولم أهبط إلى حد الرسوب
إلا في علم واحد هو علم « المالية » (ولعل هذا يفسر
لك ارتباك ماليتي) . انه علم اجراءات وأرقام لا تستقر
في ذاكرتي . آه للذاكرة يا اندريه ، ما دامت
الذاكرة هي المعول عليها إلى حد كبير في الامتحان
فلا أمل لي . أما المطالعة في ذاتها فما أيسرها وما ألذها
عندي . اني أطلع في اليوم ما لا يقل عادة عن مائة
صفحة في مختلف ألوان المعرفة (من أدب وفنون
وفلسفة وتاريخ إلى علوم رياضية وروحانية) مائة
صفحة في اليوم أي ثلاثة آلاف صفحة في الشهر .
بينما المقرر كله لامتحان الدكتوراه لا يتجاوز ثلاثة
آلاف صفحة في العام كله . لو تعلم اني قرأت مقرر
الدكتوراه للقانون العام وهو عن : (سلطة الكنيسة
والدولة) و (نظام العبادات منذ القرن الرابع عشر)
و (عصبة الأمم) و (المبادئ البارزة للقانون

الدولى) و (أهم اتجاهات قضاء مجاس الدولة)
(و) (الديتاتير المكتوبة). قرأت ذلك كله دون أن
أقدم فيه إلى أى امتحان. قرأته لمجرد القراءة.
وما قراءة مقرر عندى إلى جانب قراآتى الأخرى!
ألم أخبرك أنى تتبعت كثيراً من دروس السوربون
لغير غاية إلا تتبع آثار الثقافة التى تعينى. لقد حضرت
كثيراً من محاضرات الأستاذ برنشفيج عن «صلات
العلم بالدين فى القرن السابع» ومحاضرات دلاكروا
عن «الأحوال النفسية للفن» ودروس روبين عن
«المذاهب الأخلاقية والسياسية لأفلاطون
وارسطو». ودروس فوجير عن «مصادر فن
العمارة الإغريقية» و «آثار أكربول اثينا».
ومحاضرات شنيدر عن «ميكلا أنجيلو وعصره».
ومحاضرات برونو عن «الثورة واللغة» ومحاضرات
جلويس عن «تاريخ الشعر الإنجائيزى» الخ. لم يمنعنى

الاتقطاع عن الحى اللاتينى من متابعة هذه الدراسات
فقد استحضرت كتبها وانغمست فى مطالعتها
لنفسى . وسرت على دربها وأنا فى حجرتى . ان
التحصيل فى ذاته للثقافة والتكوين هو لذتى الكبرى
الآن . انما الذى يخيفنى هو الامتحان . لقد تحقق
لدى اليوم انى لا أصلح بطبعى للتقدم إلى أى امتحان .
ذلك ان الامتحان يريد منى عكس ما أريد أنا من
القراءة . انى اقرأ لأتسى . والامتحان يريد منى أن
اقرأ لأتذكر . انى اقرأ لأهضم ما قرأت أى أحلل
مواد قراءتى إلى عناصر تنساب فى كيسانى الواعى
وغير الواعى . أما الامتحان فيريد منى أن أحتفظ
له بهذه المواد صلبة مفروزة . انى اشعر وأنا اقرأ حتى
مقرر الدكتوراه فى القوانين ان مواده قد تفككت
واختلطت بمواد أخرى لقراءات أخرى لا علاقة لها
بالقانون . كما تختلط فى المعدة المواد الغذائية بعضها

ببعض . وإذا الناتج من هذه المواد المختلطة هو عصير
ثقباني يسرى في دمي المعنوى فأحس كأن وزني
الفكري قد ازداد . وكأن قدرتي على احتمال التأمل
المثمر قد نمت . أما المواد الغذائية في ذاتها فقد
هضمت أي نسيت . الامتحان يريد مني أن أوقف
عملية الهضم حتى يتحقق الممتحن من وجود المواد
صلبة مفروزة داخل المعدة الذهنية .

لا أريد بذلك أن أعيب نظام الامتحان في
ذاته . إنما أنا أعيب نظام بنيتي الفكرية . إنني سريع
الهضم إلى حد قد يعد مرضاً في نظر الممتحن . ومع
ذلك لماذا أتقدم لممتحن ، مادمت قد تناولت الغذاء
وأحس حرارة الدم القوي تفور في رأسي ، فلماذا
أدع الناس يفحصون مافي معدتي ؟ !

اتراني ادافع عن نفسي وألمس الأعذار
يا اندريه ! لست ادري . ها انت ذا تراني غير يائس

ولا ساخط . وإني أتقبل الصدمة باسمها لأنها لا تدل
على شيء ، إلا على قرب وقوع الكارثة العظمى :
وتركي أوروبا والعودة إلى بلادي ...

لقد لفظ القدر كلمته . ولا جدوى من الاصرار على
معارضة القدر . لكن .. أتراها يا ندرية إرادة القدر حقاً
أم إرادتي أنا ؟ من الانصاف أن أخبرك بشيء عجيب :
لقد قرأت منذ أسبوعين كتاباً جديداً لأحد معاوني
فرويد عن « القدر » . ذكر فيه أننا نحن الذين نصنع
أقدارنا بأنفسنا . وإن ما نسميه القدر ليس إلا إرادتنا
غير الواعية . ورب حادث صغير أو حلم من الأحلام
أو نبوءة من النبوءات تصدقها فتستقر في أعماقنا
وتعمل سراً على دفعنا في سبيل تحقيقها . فلقد حدث
لي مثل هذا الحادث . كان ذلك آخر ليلة أستعد
فيها للامتحان . لقد سهرت إلى الرابعة صباحاً تحت
مصباح المكتب الصغير حتى أتممت مراجعتي الأخيرة

فطويت الأوراق والكتب ونهضت للنوم كي استيقظ
نشيظا للامتحان . وكنت منشراحا متفائلا مفعما
بالأمل لامتلاكي ناصية المقرر . وإذا فجأة تصطدم
يدي بالمصباح فيقع مكسورا على أرض الحجرة تاركا
كل شيء في الظلام . عند ذلك دب التشاؤم في نفسي
وحدثني نفسي بسوء الختام . في هذه اللحظة فقط
كان فشلي قد تقرر ، كما تقرر مصير « مكبث »
ملكا مجرما في اللحظة التي آمن فيها بنبوذة الساحرات .
سواء كانت تلك إرادة القدر أو إرادتي فقد
فشلت يا اندريه : فارث لي ... م

حاشية — لماذا لم تعد إلى الرواية بالتالي . إني دهش
لاغفالك خبرها ! .. أتراها لم تصل إليك ؟ ...

باريس في ٢٤ مايو ...

اندريه ...

بعد بضع ساعات أكون قد فارقت باريس
المحبوبة ...

أسافر هذا المساء بقطار الساعة التاسعة . وغداً
٢٥ مايو تكون الباخرة « راوليندى » قد أقلمت
حاملة جثمانى . وإن سئلت عن الروح قل روحه
في قاعة كونسير « بلييل » ! ...

اندريه ، لست أملك الآن من أمرى شيئاً ،
إلا الابتسام في وجه القدر الظافر . ولعل هدوئى
راجع إلى توقى هذه الكارثة التى تعرف انى طالما

ترقيت ساعتها بذعر وفزع . لقد وقع الأمر المحتوم .
فما تريد أو أريد ؟ أملى الباقي معلق عليك . رسائلك
يا اندريه على الأقل ! رسائلك تحمل إلى في صحرائي
نسيم أوروبا العظيمة !

أودعك يا اندريه وداعا حارا ، وأودع جرمين
وجانو وقد رأيتهما أمس للمرة الأخيرة ، أودعكم
وأودع فيكم باريس الفن والفكر ...

حاشية — كنت أريد أن أحدثك عن موسيقى
اليوم (ميلهو - روسل - هونجر - سترافنسكي)
بمناسبة حفلات هامة قامت بها فرق أجنبية في باريس
في الشهرين الأخيرين : فرق ألمانية بقيادة « مانجلبرج »
وأخرى نمساوية بقيادة « برونو فالتر » . ان طرق هذه
الموضوعات الآن لما يزيدني ألما . على اني أحب أن

أقول لك ان سخطى على سترافنسكى يوم نشر نقده
المقذع لفاجنر وبيتهوفن قد زال بعضه عند سماعى
قطعته « تقدیس الريمع » مرة أخرى . انه على كل
حال تعبير قوى لاتجاه جديد فى الموسيقى وأغراضها
كما يفهمها هذا الروسى الثائر .

نسيت أن أخبرك فى رسالتى السابقة انى
شاهدت رواية « هاملت » فى الشهر الماضى يمثلها
خير ممثل فى ايطاليا حذق هذا الدور وهو (روجيرو
روجيرى) وكنت قد شاهدتها قبل ذلك من تمثيل
(موييسى) وهو خير من قام بهذا الدور عينه فى
ألمانيا ... إن مجال المقارنة بين الفنانين لما يحتاج إلى
رسالة طويلة . ويكفينى أن أقول لك انه لا يوجد
مكان فى العالم ترى فيه الفنون كلها مجتمعة سوى
باريس . باريس هى (فىرينة) العالم . نعم ... هى

الواجهة البلورية التي تعرض خلفها عبقرية الدنيا ...
أكرر وداعى لك ولباريس وأحذرك يا اندريه من
أن تحرمنى وأنا بمصر هذا الاتصال بألوان
الفن ... م

الاسكندرية في ١٣ يونيو ...

عزيزى اندريه :

أحفظ لك فى نفسى جميلا يضاف إلى سوابقه :
رسالتك الطويلة التى بادرت باطلاقها فى أثرى ،
فأدركتنى ولما أتم الاسبوع فى بلادى ، إذا أردت
أن تعرف مقدار اغتباطى بهذه الرسالة فاذكر أنك
ضمختها بعطر فرنسا المأسوف عليها

أود لو أكتب اليك بأخبارى ومشاعرى ،
ولكنى أراها لا تساوى شيئا كلها . أهى شئ غير
إطراق طويل وابتسامة حزينة ، كلها راقية ورثاء
لكل مايقع أمامى هاهنا ، ويأس قاتل وتحرق دائم ،

وأيام تجري كالدموع الباردة ، وحياة أنمى ردها
خالقها إن لم يعطى حق استعمالها كما أريد ! هل ترانى
مستطيعاً أن أكون شيئاً غير ذلك الآن ؟ !

أختتم خطابى سريعاً خشية أن يفوت موعد
البريد المسافر إلى أوروبا هذا الأسبوع . وإني أترقب
رسالة منك ، فأنت الذى يقدر على إمتاعى بالطريف
القيم ، أما أنا فما عندى شيء مفيد أقوله لك ...

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

ها أنذا أسرع فى الرد على رسالتك راجياً أن
تصلك خلال شهر الراحة كما تقول . وكل أملى أن
يحيئنى منك رسالة عاجلة شافية تربو صفحاتها على
العشر . قالت أول ما يعينى معرفته حين استلام
رسائلك هو وزنها وحجمها غير حافل بما تحويه من
كلام ، فأنا فى حاجة كما ترى إلى مجرد ثرثرتك . أما
أنت فما أظن بك حاجة إلى أخبارى ، لأنها راكدة
كلما راكد ، ولو بدا تغير قليل فى مجراها لبادرت
باخطارك . كل ما عندى هو انى أعيش فى جو فكرى

— إن كان في مصر ما يجوز أن يسمى بالجوالفكري —
لا يستطيع أن يعيش فيه مثلي . وأصدقاء الماضي
أصبحوا لا يصلحون اليوم لي ، خديثهم
ونكاثهم وطريقة قتلهم للوقت لما يزهدني في الجلوس
اليهم . وإن شئت وصفاً دقيقاً لحالي فهو يتأخص
في كلمة واحدة : الوحدة . الوحدة في أكل وأقسي
معانيها . أمضى اليوم في القراءة فإذا جاء الغروب
خرجت إلى (كازينو سان استفانو) لأسمع القليل
من الموسيقى التي يعزفونها هناك . وحتى في هذا
المكان الصاخب باللاهين أحرص على وحدتي فانزوي
خلف عامود قرب (الأوركستر) متحاشياً نظرات
من أعرف حتى لا أكلف نفسي عبء التحية .
وهل تتصور أن يكون حالي غير ذلك ؟

لا أكتمك يا اندريه ، ان صرخة خرجت من
أعماق قلبي عندما قرأت في رسالتك خبر حريق

قاعة كونسير (بلييل) ! إن ألقى لهذا الخبر سيقتضاعف
كلما ذكرت أن هذا الهيكل العظيم هو عندي رمز
من رموز الفن في باريس . اكتب إليّ كتاباً مطوّلاً
إذا كنت تعتقد أن أسمى واجباتك نحوي هو التفضل
على ساكن الصحراء ببعض نفحات أوروبا العاطرة .

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

تعبت من كل شيء ، ومن كل إنسان ، ويئست
من أن بلداً كمصر يصبح في يوم قريب ذا حياة
فكرية . لا حياة في مصر لمن يعيش للفكر . . .
لا يشغل عقلى الساعة غير شيء واحد ، ولا يلذلى إلا أمر
واحد : تحطيم كل شيء . تحطيم كل شيء هام . وابدأ
بمستقبلى ، الذى يلوح لى انه بدأ يتفتح عن وظيفة فى
القضاء . . . حبذا لو استطعت تحطيمه لأهيم
على وجهى فى بلاد الأرض ، لا تحدى غاية ولا
يوقفنى غرض .

وصلتني اليوم بطاقة البريد المصورة من (ليل) ،
فغبطتك ، انك الآن في شمال أوروبا . يا للحظ
الجميل !

أشعر اني لا أستطيع أن اكتب اليك اكثر
من ذلك . وحرصى على ميعاد قيام البريد يدفعنى إلى
ختم هذه الرسالة عاجلا . وبذلك تصلك منى كلمة على
أى حال . أريد أن اكتب إلى جرمين ، فأنا شديد
الشوق اليها وإلى الصغير الجميل (جانو) ... م

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

الحق انى راض عنك كل الرضا ، شاكر لك كل
هذه العناية ، ولا أكتمك انى ما كنت أصدق وأنا
مغادر باريس ان اتصالك بى سوف يكون بهذا
المقدار . لقد كنت أحسبك ستصرف عني إلى
حالك فلا تكتب إلى إلا بقدر ما يقطع شكى في
وجودك . أما الآن فقد ثبت لدى أمام رسائلك
المتتالية انك لا تكتب إلى أداء لواجب . أتراك تحس
ان أخبارك وأحوالك لها شأن عندي ؟ هي الحقيقة
يا اندريه . ما من انسان يتتبع الآن أحوالك مثلى .

حدثني عن نفسك كثيراً وعما حولك . أريد أن
أحدثك عن آلامي ولكني لا أنسى سخريتك ولذعك
وهزئك بكل جد . هذا القلم في يدك أتبين دماء
(فولتير) تجري فيه أحياناً ، فينبئني قلبى بأنك لن
تكتب إلى رداً يجعلنى أطمئن إليك . فلاؤثر الصمت
ولأطلب إليك أنت الكلام . حدثني أنت عما عندك
فى الشاطئ ، الآخر ، آه الشاطئ ، الآخر .. المسأج
بأضواء الحياة الفكرية ...

الاسكندرية في ...

عزيزى اندريه

مضى شهران وأنا انتظر خطاباً منك لا يأتى ،
وبدأت اعتقد انه لن يأتى أبداً . ومع ذلك ثق انى لم
أصب عليك اللعنات أو انى فعلت ، ولكنى أقسمت
انى على استعداد لشراء خطاب منك بالنقود . نعم
انه لتمر بي لحظات أخرج من جيبي ورقة مالية أعلم
انك فى أشد الحاجة اليها ، وأضعها أمامى ثمناً لرسالة
منك ذات أربع صفحات ...

أما بعد ، فإن مسألة (أكل العيش) ما زالت
عقدة العقد وأمرها اصعب مما تتصور . ماذا تريدنى

أنا كون وكيل نيابة؟ تاجراً؟ مزارعاً؟ ثق أنى فى
أى مهنة خلقها الله لنأكون سوى شىء واحد: أنا
بطبيعتى ونقصى! ومعنى ذلك أنى سوف أكون
وكيل نيابة أو تاجراً أو مزارعاً على طريقتى، وهنا
المصيبة والفضيحة! إنك تعلم من غير شك أن لى
منطقاً خاصاً يشط بي أحياناً عما اعتاده الناس. فإذا
أنا فى واد والناس فى واد. ينظرون إلىّ ويقولون:
إما أنه أبله وإما أنه فطن. لا أذكر فى حياتى أن
الناس حكمت على غير هذين الحكيمين المتناقضين:
ففريق، ومنه والذى يقول إنى أبله، وفريق ومنه
والذى يقول انى فطن. ولم أسمع طول عمرى حكماً
وسطاً بين هذا وذاك. على أن هذا كله لا يهمنى
ولا ينبغي أن يهمنى. مستقبلى حتى الآن شىء غامض.
بل لعله لم يكتب بعد فى (اللوحة المحفوظة) إذ ذكر
قولك لى مرة فى حديقة اللوكسمبورج: أن الله لم

يخلقني ، انما هو الشيطان أراد أن يخلق طرازاً جديداً
 من الآدميين أو « موديل » من الانسان : يضارب
 به الطراز الشائع المعروف . فجاء خلقه عجيب البناء
 غريب التركيب : به أثر من عبقرية الشيطان ،
 ولكن به نقصاً ينم عن تحبط في شـ — وون الخلق
 والابداع . ومع ذلك ، حتى على فرض أن الله هو الذي
 خلقني لا الشيطان . فانه كان لسوء حظي يضجر
 ويترجم كلما جاءه جبريل بلوحي المحفوظ ليعين فيه
 خطوات حياتي ، فقد كان يصرخ في وجه الملاك
 الأمين قائلاً : « اذهب عني الآن ! » فيقول جبريل
 خاشعاً : « لكن ... يا إله السموات والأرض ،
 المدعو توفيق الحكيم ولد وشب ونما وكاد يدنو من
 الثلاثين ، وهو لم ينزل يدب على الأرض ويعيش فيها
 بالمصادفة ... وكلما جئت إليك بلوحي لأجل التعيين .. »
 فيسمع كأن الصوت العلوي يصيح به : « قلت لك

اذهب عنى الآن ولا تشغلنى بهذا المخلوق !
هكذا أعيش بغير مصير . حياتى فيما يخيّل إلى هى
فى يد المصادفة . والمصادفة غير قديرة على صنع حياة
محبوكة الأطراف . آه إن حياتى مفككة ،
كالقصة المفككة . أو الهيكل المزروع الأركان .

انا الذى لا يحب فى الفن غير قوة البناء . وما يتبعه من
قوة التركيز . وهذا هو سر عنايتى بالحوار التشيلى
فى الأدب . نعم ذلك ما أسميه عاطفة ال architecture .

هذا الاحساس الهندسى الذى من نتائجه : الحساب
ووضع الكلام بمقدار والاعتماد على الخطوط الكبرى
التي تحدث التأثير . انى مهندس architecte أدبى .

هذا كل شئ . من ذلك الطراز الذى يشيد معبداً
عالياً : أعمدة ضخمة متناسقة ولا شئ غير ذلك .
ما أشد حاجتى إلى حياة قائمة على أعمدة راسخة
كالمعبد الضخم الجميل ! انى معبد يتصاعد من جوفه

لا بخور الايمان ، بل بخار الشك والقلق . انى أتألم
 أما لا يراه أحد ، إذ لا يظهر على وجهى شىء غير
 هدوء الرضا . هنالك دودة دائمة الوخز ، دابئة النخر
 فى قلب هادىء المظهر رائع المنظر كالكمثرى الذهبية .
 هنالك قلوب يسكنها الألم كأنه عبادة . حياتى كلها
 ليست سوى قارب ثمل . لهذا يخيل إلى أنى صديق
 « رامبو » الانسان قبل الشاعر ، ولهذا أيضاً كنت
 صديق « ايفان » الروسى الثائر ! أما أنت يا اندريه ؟
 ان لك قلباً من غير شك ولكن ... ينقصك الألم .
 إذا انصهر قلبك يوماً انصهاراً كافياً وانتشر حوله
 الدخان ؛ فان هنالك بين ذلك الدخان تستطيع أن ترى
 الشبح الحقيق لصديقك الشرقى !

انى الآن أنتظر الشتاء . ولعله يأتى بجديد .
 ولعل الله فى هذه المرة يلتفت إلى وجودى غير ضجر
 ولا متبرم فيعين طريقا لحياتى . ان الانتاج الفكرى

يا اندريه ليرتبط إلى حد ما بطريقة عيش الكاتب ،
ويتلوّن أحيانا بلون حياته اليومية . لذلك ترانى أنتظر .
على أنى فى هذه الفترة أعزى عن نفسى بك وبشاطك
وأوجه ببصرى إليك فى أمل ؛ وأتبعك فى مطالعائك
الليلية فى غبطة ورجاء ...

حاشية — بعد أن ختمت هذا الخطاب تأملت
قليلا فى أمر ذلك « اللوح المحفوظ » الذى تسطر
فيه مصائرنا . مما لاشك فيه ان لكل نفس خلقت
قصة يجب أن تعيشها على هذه الأرض . ومما لاشك
فيه أيضاً ان كل قصة يجب أن تكون جديدة بهض
الجدّة ، وان تختلف عن غيرها بعض الاختلاف .
تصور إذن كم من القصص قد ألفت ويجب أن يؤلف
لملايين ملايين الملايين من البشر . يخيّل إلى ان هنالك
فى السماء ملاكا كافتانا منقطعا لتأليف قصص المواليد

قبل خروجهم إلى الحياة . هذا الملاك الروائي المخصص
لهذا العمل العسير يجب أن يكون واسع الخيال إلى
حد مخيف . والويل له إذا نضب خياله مرة . أخشى
مع ذلك أن يكون خياله قد نضب وهو يمسك بالقلم
ليسطر قصة حياتي ! ...

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

انى آخذ عليك تقصيرك فى الكتابة إلى .
وأوجه نظرك مرة أخرى إلى أن رسالة تكتبها
إلى لا تشغلك كثيراً مادمت تجد وقتاً يتسع لمغازلة
الحسان . ولو ان يبنى وبين نفسى أعلم ان هذه
المغازلات قديمة التاريخ . ولا أحسبك قد نسيت قهوة
الدوم والأمرىكية ذات العيون التى تشبه فى زرقتها
ماء بحيرات الجنة ! على انى أعتذر لك عن طيب خاطر
كل إهمال إذا كنت مشغول الوقت حقيقة — بعد عمل
المصنع المرهق — بالقراءة والمعرفة بما فيها الموسيقى
وألوان الفنون جميعاً . ذلك الداء الذى تقول انى رميتك

به . لم يحب ظني . انك قد سمعت في هذين الشهرين
من الموسيقى خير ما يمكن سماعه . فاني أعلم ، وقد
مكثت في باريس شهرى مايو ويونيو من بعض
الأعوام ، ان ذروة الموسم الموسيقى هي في هذين
الشهرين . فان خير الفرق تتلاقى في باريس في ذلك
الوقت قبل تفرقها في المصايف . لقد سمعت أنا أيضاً
سانفونية « ماهر » التي تحدثني عنها و « نشيد
الأرض » وهو إحدى روائع صحائفها . كما سمعت
قطعة « الأفراح » العجيبة لسترافنسكى . وكذلك
قصيدته السانفونية « تقديس الربيع » وفيها هي
أيضاً « نشيد للأرض » ولكنها الأرض الوثنية
لا أرض « ماهر » التي تتصاعد منها الروح الدينية
العظيمة . غير انك أحسن حظاً منى بسماعك
Lotte Schoene للمغنية العظيمة . وفرق « الكورس »
الشهرة التي وفدت إلى باريس هذا العام . فأننا

لا أمل لى هنا فى سماع هذا الضرب من الموسيقى ،
أعنى الصّوت الآدمى المنفرد أو المجتمع . فأنا
أستطيع على كل حال أن أجد فى الموسم الموسيقى
لكازينوسان ستفانو تحت قيادة إيطالى متواضع
يدعى « بونوى » كل برامج الموسيقى الآلية
تقريباً ، حتى « اندانت » لماهله سمعته ببرنامج
الأمس . لكن من المحال أن أمل فى سماع
messe أو requiem أو على الأقل السانفونية التاسعة
ليينهورف . فشاهير المغنين والمازفين لا يأتون هنا
بالسهولة التى يذهبون بها إلى باريس . لذلك أرسات
إلى ألمانيا فى طلب اسطوانات لهذا النوع الذى
إن أطمع فى سماعه هنا . وقد كلفنى ذلك نقوداً
وأى نقود ! وبعد ، فأشكر لك حديثك المسهب
عن الموسيقى . فأنت ولا شك تعلم أن الحديث عنها
هو خير ما تطرب له أذنأى ... ؟

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

نعم انك ارتفعت حتى قمة الجبل . وقت بتلك
الرحلة الصاعدة الجريئة . وكان من حسن حظى أن
أوافقك . وكان من سوء حظى أن ألقى نظرى قبلك
إلى مهبط السفح وأن ألفت نظرك الطامح الجنونى
إلى هول ما بعدنا عن سطح الأرض . وها أنت ذا
تعترف أنك بعد تلاوة رسائلى اضطررت إلى النظر
فيما أقول فوجدت نفسك محلقا حقيقة على ارتفاع
مخيف . وأحسست لحظة الدوار . إلى هنا أوافقك .
وأوافقك أيضاً على قولك إن أخشى ما تخشاه على

رأسك من هذا الدوار هو عندما نهبط إلى مستوى
زملائك في المصنع . نعم ، انى أتوقع لك دواراً قاسياً
ساعة النزول يتناسب مع ذلك الارتفاع . أما قولك
أسفا انك بدأت تشعر بالوحدة الروحية تنسج أبرادها
حولك ، فهو مالا أوافقك عليه ، أو لست متصلاً
بك دائماً ؟ بماذا تفسر كتابتى المستمرة إليك ؟ تقول
انه كان ينبغي — فى لوح قدرك — أن يأتى فى من
الشرق ليسبغ بخياله رداء الاحلام على عالم الواقع
الذى كنت تعيش فيه . . . أنا أيضاً كان ينبغي لى
أن أرى جمال الواقع الناصع فى جوار عقلك الأوروبى
المستقيم . ان هزة التصادم بين الشرق والغرب ،
هى وحدها التى تفتح الأعين المغلقة فى الشرق والغرب
إن فى تلاقينا معنى أوسع من كل معنى شخصى أو
فردى . ان فيه قوة الرمز ، ما من مرة احتك فيها
الشرق بالغرب إلا وخرج من احتكاكهما ضوء أنار

العالم ، وما من مرة تلاقى فيها وجه الشرق بوجه الغرب
ونظر أحدهما في عين الآخر إلا وأبصر جمال نفسه
كأنه ينظر في مرآة . أليس من العجب يا اندريه
انك لم تعجب بكل ما عندكم من آثار الفن والموسيقى
إلا بعد أن توطدت بيننا الصلة ؟ لن أنسى سخريتك
بي وبخيالي وميولي في أول عهد تلاقينا . لقد جعلت
تهدم كل الأسس التي بنيت عليها حياتي . لقد جعلت
تجرد صديقك الشرقى من كل صفة طيبة حتى صفة
الفنان التي كان المسكين يعتز بها وقتذاك على نحو
مضحك ، لا بساً لها لبوسها من معطف أسود وقبعة
عريضة سوداء ! لم تترك له أملاً واحداً يعيش به .
وبعد أن هدمته بلا رحمة قلت له ذات مرة : « والآن
اذهب وألق بنفسك في نهر السين إذ لا قيمة لثلك
ولا فائدة ترجى منه في الحياة ! » ألا تذكر ؟ ومع
ذلك شيء عجيب : لم يؤثر في نفسي كثيراً هذا

الكلام ، وابتسمت له ورددت عليه رداً لطيفاً
أقرك به بعض الشيء . ألا تذكر ؟ ذلك أنى في ذلك
الوقت كنت أدرك انك لم تفهم بعد روح الشرق .
ثم شئ آخر : هو انى في ذلك الوقت كنت أقابل
المأسوف عليه « إيفان » ذلك الروسى الذى كان يدعم
إيمانى بنفسى وبالشرق كلما نالت منى بعض كلماتك .

ولكنى عدت بعد ذلك إلى الشرق ، عدت الى
مصر يا اندريه فأصابنى بالقيء الأمر ذهول . ذهول
عنك وعن كل شئ ، كمن وقع من السحاب حقيقة .
ثم أخذت أتصفح الوجوه والأشياء حولى . يالها من
حقيقة مؤلمة ! رأيت نفسى فى شبه عالم نائم . لقد
شعرت بما قد يشعر به من يهبط سطح القمر الأجرد
المعتم . أنت أيضاً نقلت إلى داءك يا اندريه فجعلتنى
أبصر الواقع المؤلم بعين الواقع ...

لقد عشت بضعة شهور بغير نفس ولا إدراك ،

أحاول فهم السخفاء والجهلاء . وأتمنى لو أستطيع أن
أسرّ بعشرتهم ، وأن أصغى إلى أحاديثهم . لقد قطعت
عهداً على نفسي عند ذاك أن لا أتحدث في غير التفاهة
من الأمور . الى أن وصلني منك خطاب ذات يوم
تؤنّبني فيه على هذا الخمول وهذا الجود فكان أثره في
نفسي عميقاً . لقد عاد إلى الذكاء والادراك . وإذا
عقلي الذي كاد يخبو بأفيون الشرق يضيء من جديد .
وصحوت لحظة أفكر وأتأمل . وانتهى بي الأمر
الى ان النور يأتيني من الشـاطيء الآخر وان
الأمل معلق على شخص مثلك يهز لي المصباح من
الجهة الأخرى ... مـ

✓ الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

انى فى حاجة الى حديثك . تكلم فى أى شىء
أو فى لا شىء . اسمعنى صوتك واشبعنى ثرثرة واملاً
لى صفحات . . . يكفى أن تلقى على الورق خطوطاً
فتكون لها قيمة . . . قيمة نقدية ، على الأقل عندى .
ولو انى أعلم انك اليوم لست محتاجاً الى نقودى ،
فقد صاح حالك وصرت ممن يسرون فى الحياة بنظام
واطمئنان . نعم ان مجرد الثرثرة قيمة نقدية أحياناً ،
فانى أذكر يوم قرأت de profundis لأوسكار وايلد
أن صحت : هذا كاتب له قلم يبول ذهباً ! أجل حسب

مثله أن يقول للعالم اكتب : دون قياد من العقل
والتفكير ، كما يرعى الفارس للجواد العنان . ان من
الكتاب يا اندريه من تجد فيه هذه المزية العجيبة أو
الموهبة الفريدة : انه معفى من انتقاء موضوع أو تخير
قضية ، لأن عنده القدرة أن يجعل من مجرد كلامه
المرسل إرسالا أشياء عالية القيمة . ذلك ان روحه
ويحدها هي كل الفن والأدب : وان سر قوته في
تلك السجية الغنية والفطرة الخصبية . مثل هؤلاء
لا ينبغي أن نقول لهم اكتبوا فيما هو منتج أو مفيد
إنما ينبغي أن ننتظر فقط كل ما يخرج من مداد
أقلامهم ، كما ننتظر العسل من النحل دون أن نخبره
ان في عمله شفاء للناس . مازات تغمر أحيانا غمرات
خفيفة لما أحمله لك من تقدير ، فنقول لى في كل لحظة :
« ما بالك تحشرنى فى الأدب وتفسد حياة رجل
المصنع ! » كلا يا اندريه . ان الأدب لا ينافى حياة

المصنع . لأن الأدب هو الحياة . أو التعبير عن الحياة . انه الحياة كلها التي تحوى في جوفها المصنع وغير المصنع . ولقد كان « إيفان » رحمه الله عاملاً وفيلسوفاً . أنت أيضاً صاحب ذوق وفهم . إياك أن تشك في ذلك . مرة أخرى أقول لك : « استمع إلى قلبك . فالقلب هو أدق آلة في جسدنا تسجل الصدق ! » .

وبعد . هل قرأت كتاب « جوزيف ديلتى » عن « نابليون » مارأيك فيه ؟

لقد جاء في البرقيات العامة خبر وقع على رأسى كالصاعقة : هو موت « بول سوديه » كبير نقاد عصرنا الحاضر في فرنسا ، يالأسف ! لقد كنا ننتظر مقالاته في « الطان » ^{Tempo} كما ينتظر الحكم النهائي الفاصل فيما يختلف فيه النقد والنقاد !
أختم هذه الرسالة سريعاً لأن موعد البريد قد

أُزف . وسأحدثك في رسالتى التالية عن « كونسرتو »
سمعته فى « الكازينو » ، هو مضحك للغاية ، إذ كان
فيه عازف « فريوز » . سأجتهد فى أن أصف لك
ما وقع ... ؟

الاسكندرية في . . .

٢

عزيزى اندريه :

وأخيراً أعلنوا في البرامج وعلى الحيطان عن
عازف « فرتيوز » يوقع أحد كونسيرتات « باجانينى »
فذهبت كالمعتاد . بل بنفس أكثر انتماعاً وأشد
فرحاً . فلقد ظفروا آخر الأمر بكونسرتو وبفرتيوز
ووقف المايسترو « بونوى » ونفش شعره بيده قبل
أن يومئ إلى فرقته بعصاه . ثم التفت إلى يمين ثم
إلى يسار منتظراً قدوم العازف العظيم . وذكري
هذه الحركة بمشكلاتها حين كان رئيس الأوركستر
يفتقر دخول عازف شهير مثل تيبو أو هوبرمان

أوعازفة مجيدة مثل إريكاموريني . لقد دخل على نفسى
 الوهم والابتهاج بهذا التباطؤ المقصود وحسبت ان
 العازف الداخلى قد ابطأت به سيارة « الرولز » لحدوث
 خلل فى الطريق . ولكن التفاتة منى إلى باب
 « النواليت » هدمت كل هذا الخيال . فقد أبصرت
 رجلا يتحشر فى ردينجوت - من المؤكد أنها ليست
 له - وعلى صدره رباط رقبة « فاقع » اللون لا يتفق مع
 سواد الرداء . وعلى عينيه منظار غليظ لا يضعه غير
 سمسرة القضايا ووكلاء المحامين ، وهو واقف بمشط
 شعره على عجل بمشط (من الخشب الخشن نفس)
 فلما رضى عن « قيافته » التى تكبد فيها ما تكبد
 ظهر مسرعا إلى المنصة وانحنى للجمهور كما ينحنى
 مشاهير العازفين . ثم التفت إلى « بونوى » ونظر
 إليه من خلف منظاره السميك نظرة من يقول له :
 « الأمر سائر على ما يرام ؟ » فرد عليه الرئيس

بابتسامة . لكن في شيء من التعالي . وحول نظره
 بالعصا المرفوعة الى الجوقة . فارتبت في هذه النظرات
 واستدرت نحو المنصة فاذا بي أرى مكان « السوليست »
 خالياً . فأدركت الحقيقة . هذا العازف الذى أعلنوا
 عنه ليس سوى العازف الأول للفرقة هياؤه وموهوه
 وأدخلوه علينا كأنه عازف « فرتيوز » . على انى مع
 كل هذا أقول لا بأس . انت « بونومى » رئيس
 أوركستر ضرورة . ولكنه على كل حال رئيس
 أوركستر . حقيقة انه يؤدى عمله كما يستطيع وتستطيع
 له مواهبه الخالية من الشجر والرقه والدقة . فهو لو
 أدى قطعة مثل قطعة « السحب » لـكلود ديبوسى
 لأسقط على رؤوسنا أحجاراً من السماء . انه لا يدرك
 معنى لذلك الذى تسمونه معشر الفرنسيين nuance
 وكثير من يتهوفن العميق مغلق عليه . ولعل المارش
 وال *ellegro forte* هو كل ما يمكن لمثله أن يؤديه .

وحتى هذه مادامت فيها عواطف — على الأقل عند
يتنهوفن — فهو يسقط منها العاطفة على الرغم منه
فلا نسمع منها غير الدوى المادى ولا نامس إلا الهيكل
الخارجى . أين هذا ممن أسمعونا « الغبار الموسيقى »
la poussière musicale . على حد تعبير « هونجر » .
وأين هذا ممن فسروا موزار وفاجنر تفسيرات تعتبر
في ذاتها خلقاً جديداً . لقد عرفت طريقة « برونو
فالتر » مجدد موزارت . وكان بودى لو أعرف طريقة
« فان هوسلن » مجدد فاجنر ، وهو من يقولون عنه
انه حول ال *Grondements souterrains* . التى تملأ
أعمال فاجنر الى موسيقى صافية نقية كأنها موسيقى
موزار . وسواء كان فاجنر حقاً بهذا الصفاء النفسى
الذى كان عليه الطفل الالهى ، وهو ما أشك فيه .
وسواء كان يريد فاجنر ذلك ويوافق عليه لو كان حياً
أو لا يريد . فان المحاولة فى ذاتها تستحق المشاهدة .

لنقول بعدئذ هل نفضل فاجز الحقيقي أو فاجز
المدخول عليه . انها علي كل حال « بدعة العصر » فيما
أرى . ذلك الذي يسمونه « تجديد الشباب » لآثار
القديمة . أهو تأثير العلم الحديث وحلمه الدائم بإعادة
الشباب الى الغدد المنهوكه والجسم الهرم ؟ ان آثار الذهن
قد بدأت تتأثر هذه النظريات . وان كلمة « تجديد
الشباب » للمؤلفات القديمة تجدها على لسان الكثيرين
اليوم . تذكر عمل الشاعر الفرنسي « كوكتو » في
تجديد أعمال شاعر الأغريق « سوفوكليس » اى
خطر على تراث الأقدمين لو تمكنت من الناس مثل
هذه الافكار . إلا أن يكون في ذلك العمل حياة
للقديم من خلال الأطار الجديد . فهو إذن عملية
انتقاد وبعث وتجميل . وعلى ذكر العلم الحديث وأثره
في مسائل الفن والفكر . أخبرك بأمر كتاب عجيب
هو كتاب ulysses لجيمس جويس . لقد كان لهذا

الكتاب صيت رددت صدها جذرات صالونات
الأدب بباريس ، حتى قبل أن يترجم الى الفرنسية ،
وقد عد من قراءه من أدباء الفرنسيين (ونادر من
قراءه إذ ذاك) أديباً ذواقه لا تخفى عليه خافية ، شأن
كل عمل يتعهد بترويجه واذاعته من يسمونهم
les snobs . وهم لا يذيعون إلا كل عمل معجز .
والمعجز في هذا الكتاب انه يبلغ نحو ٩٠٠ صفحة من
الورق الكبير والحروف الصغيرة وكله إملا ل وإضجار
فهم واثقون من ان الكثرة الغالبة سوف تعجز عن
مطالعة هذا الكتاب . غير ان هذا ليس معناه خلو
الكتاب من القيمة الأدبية . ان التطويل إلى حد
الاضحجار والاملا ل قد سبق أن قاسيناه في كتب
مثل « الحرب والسلام » لتولستوى ، وخرجنام مع
ذلك فائزين . على ان فكرة جيمس جويس في هذه
القصة الطويلة التي تركز على « المنولوج الداخلي »

هي أن يترك بطله يتكلم بكل مايرد على خاطره
ويخرج كل مايجالج نفسه . كل فكرة فاضلة أو سافلة
خيرة أو شريرة تافهة أو قيمة لا بد أن تسجل . فهو
يريد أن يقول لنا ان (البسيكولوجية) الصحيحة هي
أن لا تتخير أشياء وتنبذ أشياء مما يدور في نفوس
الأشخاص . انما يجب أن نثبت كل ما في نفوسهم
حتى مجرد الخواطر الفجائية الطارئة . وهو عمل لا
يستقيم معه بالضرورة بناء القصة ولا يسمح به مجال
الصفحات المعقول . لذلك ضرب المؤلف الانجليزي
بالبناء الروائي عرض الحائط ثم لم يبال أن يبلغ بعدد
صفحاته ماشاء وشاءت له الحماقات التي تمر بخاطر
بطله في ساعة من الساعات . وهي ليست حماقة
واحدة وليست حماقتين . ولكنه عدد لا ينتهي ولا
يمكن أن ينتهي . وهل تنتهي السخافات التي تمر في
لحظة برأس إنسان ؟ قد كنت أظن ان مثل هذا

الكتاب يظهر ثم يمر في سلام . ولكن المروع
في الأمر هو أن يصبح فيما أرى (بدعة العصر)
Point counter point فيها هو ذا كتاب لألدس هكسلي
ترى فيه أحد الأشخاص يبدو متبرما بمعشوقته وقد
خبت جذوة حبه ويريد لتلك الصلة بينهما حسن
اختتام . هذا حسن . ولكنه يحدث نفسه فإذا هذه
النفس لا تحبده في الحب وحده ولا في تبكيت
الضمير ولا في التريث والشفقة بل ولا حتى في الشعر
والفن بل تحبده في الفلسفة وفي الاقتصاد وفي
الاشتراكية ثم بعد ذلك ترتل أشعاراً لشكسبير .
وإذا استمرت هذه النفس في حديثها على هذا النحو
فإن المؤلف لن يستطيع قطع هذا الحديث قبل ملء
جزئين أو ثلاثة أجزاء . انى لست ساخطاً على هذا
النوع من التأليف كل السخط . فاني مدرك لقيمة
مثل هؤلاء الروائيين ، مستطيع أن أقارنهم بالروس من

بعض الوجوه . فان دقة التحليل والتزول إلى أعماق
النفس والافاضة في تلوين الأشخاص والاحاطة بكل
ما ينبض في قلوبهم من خواالج تكونت أو ما زالت
في دور التكوين . كل ذلك مشترك بين هؤلاء
الانجليز وبين الروس العظام مع هذا الفارق : ان
ما عند الروس من نزعة صوفية *mystique* ! يقابله
ما عند الانجليز من نزعة انتقادية *satirique* . غير
اني لا أظن مطلقا ان نظرة الروس للبيسكولوجية
الروائية بلغت هذا الحد الذي بلغه الانجليز اليوم .
انما هي بدعة تولدت بتأثير علم النفس الحديث . انك
قد تجد عند الروس شيئا من هذا « المنولوج الداخلي »
ولكنهم لم يضعوا فيه إلا كلاما مختاراً متسقاً مع بناء
القصة وجوهر الفكرة . أما أن يلقى فيه كل شاردة
وواردة كأنه طبق خضروات متنوعة فهو ما لم
يعنهموه . ان « السلطة » الروسية *la salade russe*

من ابتداع الروس حقاً ولكنهم لم يدخلوها على مائدة
الفن الروائى الروسى !

أرجو منك يا اندريه أن ترتاب قليلاً فى أحكامى
الأدبية والفنية . قانا كما تعلم أحب بطبعى البناء
السليم فى كل خلق . ولا شئ يرضى غريزتى الفنية
مثل الصحة فى البناء ، سواء كان هذا البناء لهيكل
أدى أو فى . وقوة البناء لا تتمثل فنياً أبرز تمثيل
إلا فى فن العمارة وفى السانفونية الموسيقية وفى القصة
التمثيلية . ولعلك تستطيع تعليل إشارى للقصة
التمثيلية فهى كما ترى أأزرم وأقرب إلى دقة البناء من
القصة المروية . وقد تستطيع أخيراً أن تعلل حبى
لصحة البناء بأنى معتل ببناء الجسد . فنحن لا نحب
أحياناً إلا ما ليس فى يدنا .

نعم ان الفن عندى بنيان جميل . لذلك لا تنتظر
منى أن أحب هذه الطريقة الحديثة فى « المنولوج

الداخلي » . قد أحبها على شريطة : أن نخرج قصة
كهنه من دائرة الفن لندخلها في دائرة العلم ، وأن
نطلق على مثل هذه القصة اسم « سجل أو ملف
نفسية فلان » . إن الفن هو كما قال « هكسلي » نفسه
في ذات الرواية : ليس هو الحقيقة وليس هو الواقع
بل شيء آخر : انه الحقيقة مقطرة ومصفاة كيميائياً .
هذا صحيح . وإذا كان الماء يصفى ويقطر للناس في
معمل كيميائي ، فإن الحقيقة أيضاً تصفى وتقطر للناس
في معمل المؤلف الروائي ... وهذا المعمل هو : الفن .
نعم . ان الفن ليس الطبيعة ولا الحقيقة ، إنما هو
تقطير الطبيعة والحقيقة من خلال « أمبيق » الفنان .
إذا كان الأمر كذلك فلماذا تتجه الرواية الحديثة إلى
إيراد الحقيقة بواسطة سجل يرصد فيه ما حدث في
الدقيقة والثانية داخل نفس فلان كما تسجل الأرصاد
الجوية ؟ إنني على كل حال لست نادماً على قراءتي هذه

القصة ...

فلقد جعلتني أستكشف في نفسي القدرة على
المطالعة في الانجليزية مباشرة . نعم إن تركي هذا اللغة
أعواما طويلا لم يؤثر إلا في قدرتي على المحادثة بها .
لماذا إذن أنتظر ترجمة مؤلفات برناردشو إلى
الفرنسية وأنا مستطيع فهمه في لغته الأصلية . انه
الكسل ولا شيء غير ذلك . إني كسلان بالطبع .
ولكني الآن أقرأ بالفعل برناردشو في الانجليزية
وأستمتع بسخريته ولذعه وفكاهته وأستعذب أسلوبه
السهل السلس ذا الروح والرائحة ...

على ذكر الأدب الانجليزي أحب أن أقول
لك أمراً لفت نظري منذ غرقت في دراسة هذا
الأدب . انه أدب مغامرات . ولا يجب أن يطلق
عليه غير هذا الوصف : مغامرات بأوسع معانيها
وأجملها وأشرها . فأعمال والتر رالي وسكوت ودانيال

دفو (روبينسون كروسو) وروبرت لويس ستيفنسون
(جزيرة الكنز) هي مغامرات بحرية. وأعمال ديكنز
وجالسورثي هي مغامرات اجتماعية. وأعمال شكسبير
ويرون مغامرات نفسية إنسانية. وأعمال ما كولي
وكارليل مغامرات تاريخية. وأعمال ويلز (في قصصه
العالمية) وبرناردشو خصوصاً في Back to Methuselah
ليست سوى مغامرات ذهنية. إن الأدب الانجليزي
مهما تشرحه تجد روحه وجوهره في كلمة «المغامرة»
لعل هذه الجزيرة المنعزلة قد طبعت نفوس أهلها
بهذا الطابع الغريب: حب السفر عبر البحار بحثاً
عن المجهول: بحار الارض أو بحار المجتمع أو بحار
الماضي أو بحار النفس أو بحار العقل ...
هذا لا تجده في الأدب الفرنسي مثلاً. أنه أدب
«الشكل» la forme في جماله الساحر. أدب المحادثات
اللبقة النبيلة، أدب التفكير الرائق الهادي. أدب

التعبير الرائع والمنطق البارع : هو أدب الوطن
الفرنسي والصالون الفرنسي والصيحة الفرنسية القائلة
إن « باريس » هي عاصمة الكون ولا شيء وراء
باريس . بالاختصار هو أدب الاستقرار لا أدب
الضرب في البحار ...

وبعد . تقول لى أنك سرت في جنازة المأسوف
عليه « بول سوديه » وأنت مررت مع الجمع حول
التابوت وتناولت ققما فضيا حركته في الهواء
بعلامه الصليب ونضحت به الجثمان ، ثم سامته لمن
خلفك في الصف . ثم تقول أنك كدت تضحك
فقسخط عليك الناس لأنك تذكري نخاة وأنا في
مثل هذا الموقف يوم تشييع جنازة زوج بنت مدام
شارل وما وقع لى بالتمام من أشياء تثير الابتسام .
آه لا تذكري يا أندريه . لقد كان حقاً يوماً محرراً
لكنه انتهى بسلام ... م

الإسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

اليوم الخميس ، ولم تصلنا رسالة الخميس . وقد
عودتنا ذلك ووعدتنا به . . هلا رأيت بول سوديه
ومواظبته على إرسال مقالات الأربعاء لجريدة
« الوقت » عشرات الأعوام بانتظام ، لم ينقطع فى
خلالها إلا لموتين : موت زوجته وموته هو ! وهل
تظن أنك أقل من بول سوديه فى (وقتى) أنا ؟
على أنى أسأل لك عمراً أطول من عمره ، وأعطيك
أجراً أكثر من الأجر الذى كانت تعطيه إياه
جريدة (الطائر) لو كنت تقدر قيمة الود ! تستطيع

أن تقول إنى أعيش ملول الأسبوع على رسالتك
فاذا كنت تريد أن تحرمنى غذائى الأسبوعى فأنت
وشأنك . وبعد فلنتحدث فى أى شئ . قرأت مقال
(فرنانف فندريم) فى پول سوديه . وهو خصمه
المعروف فى المناضلات الأدبية . أى جبن وأى نذالة ؟
مقال لو أنه كتبه وتجراً على نشره فى حياة الناقد
العظيم لما استطاع الإقامة بعدها فى فرنسا يوماً واحداً
ولكنه الآن يقول ما يريد لأن الميت لا يستطيع
جواباً . لقد جرد سوديه من كل حسنة والصق به
من النقص ما يخرج به عن وظيفة ناقد . ولكن أعجب
ما جاء فى مقاله عن پول سوديه قوله : إن الجانب الفنى
la technique فى الأعمال الأدبية كان يفات منه
دائماً لأنه لم يمارس بنفسه التأليف من حيث هو
خلق فى ؟ ! فما قول فندريم هذا فى فلاسفة الألمان
ممن نقدوا الفن من « عمانويل كانت » إلى « فردريك

نيتشه « وما قوله في Ises esthéticien الذين شرحوا
لنا ونقدوا فن فيدياس وبوليكليت وبراكسيتيل وهم
لم يصنعوا قط تمثالا من الطين أو العجين ؟ وما قوله
في (جول لير) و (سارسي) و (تين) وقد قضوا
حياتهم ينقدون فنونا لم يمارسوها قط بأنفسهم ، حتى
العرب ونقاد الشعر العربي في آدابنا (مثل « الأصمعي »
و « حماد عجرد » لم يمارسوا هذا الفن مع روايتهم
لكل ما قيل فيه . وإني لأذكر قول أحد نقاد
العرب هؤلاء وقد سأله (كما سأل فاندريم بول
سوديه) لماذا لا يقرض الشعر ؟ فأجاب : أنا كالمسن
يشحن ولا يقطع . ولكن فاندريم يريد أن يقطع
أوصال جثة خصمه وكفى !

اني لم أزل أطلع رسالتك الماضية في إعجاب .
ان فيها أشياء أقرؤها ببطء فتؤثر في نفسي تأثيراً
شديداً . ذلك انها تجعلني أتصور اني مازالت أقيم في

حجرتى بشارع بلبور . واأسفاه ! يخيل إلى أنى
نسيت رقم الحجرة فى الطابق الخامس . أظنها كانت
رقم (٤٨) ؛ لأنها (هى) كانت تقطن الحجرة رقم
(٣٨) ... انى إن نسيت رقم حجرتى فلن أنسى مطلقا
رقم حجرتها . أما الببغاء ... آه يا أندريه . ترى أين
هو الآن ؟ أو لم يزل يحمل اسمى كما كان ؟ ... فيظل
بذلك اسمى يردد صدهاء فى باريس ... على الأقل حتى
يموت الببغاء ! انى أعرف أن هذا الطائر طويل العمر !
نحن معشر المصريين نفكر دائما فى تخليد أسمائنا .
ولقد اتخذ جدى الأهرام لهذا الغرض . ولكنى أنا
اكتفيت بأخذ ببغاء ... على قدر مالى واستطاعنى .
ألا ترى أنى مصرى بالدم والوراثه ؟ أندريه ... اكتب
إلى كثيرأ ... ذكرنى بحجرتى فى شارع بلبور .
ترى من يقطنها الآن ؟ أحد العمال ولا شك أو إحدى
العاملات . فهذا حى عمال و عاملات . ومن يدري

فقد يكون من سكانها اليوم محبان عاشقان ... أو
زوجان سعيدان ... أما أنا مع الأُسف فلم أعرف
فى هذه الحجرة غير حياة شبه زوجية فائرة مع ساشا
شوارتز . وحياة حب مع « إيمان دوران » لم يدم
هناؤه طويلا ...

الاسكندرية في . . .

عزى اندريه :

تسألنى من هى ساشا شوارتز ؟ عجباً ؟
ألا تذكريها ؟ أو لم أقص عليك قصتها من قبل ؟ ..
أهان أمرها على هذا القدر ؟ أم انى لا أحب أن
أذكر دائماً غير القصص الذى لم يتم ولا يمكن أن
يتم . . . ! حدث ذلك ياسيدى فى مساء يوم جميل
جلست فيه مع مسيو هاب إلى مائدة مشرب صغير
bistro فى مونمارتر . وكنا نتحدث فى أمر حوار
صغير كنت قد كتبتة ودفعت به إليه ليرى رأيه فيه .
فراة خفيف الروح قوى التركيب سلساً سائفاً

يستلب لب القارىء استلاباً ... وقال لى : « انى أراك
قد اعتصرت مولير وبومارشيه وماريفو اعتصاراً ! »
ففرحت بقوله هذا كثيراً وطلبت كأساً أخرى من
(اليرنو) ... وما كدت أتناول منها جرعة حتى دخلت
المشرب عادة ذات جسم ذكرنى بتمثال افرو ديت .
وكان فى صحبتها شاب برزى اللون جميل الطلعة كأنه
أبولون ... ولست أدري أسكرت من اليرنو أم من
إطراء صاحبي أم من روعة هذه الغادة ... كل
ما أذكر أنى تمايلت على ميسيو هاب صائحاً : « ناد
الجرسون واطلب سكيناً ! » فقال دهشاً : « سكيناً ؟
تصنع به ماذا ؟ فقلت : « أقتل نفسى عند أقدام هذه
المرأة حباً وجنوناً وغراماً ! .. » فالتفت (هاب)
إلى المرأة ثم إلى صاحبها وقال لى : صدقت . ولكنها
كما ترى ذات رفيق وأى رفيق . . لا أمل لك أيها
الصديق ... إذا أصررت على السكين فانى أنادى لك

الجرسون !...» وليثنا ساعة ننظر إليها ونتحسر...
ثم نهضنا وانصرفنا كل إلى شأنه . ومضت أيام قلائل
وإذا مسيو (هاب) في أثرى يبحث عني في مظاني ،
حتى عثر بي فبادرني صائحاً : أين أنت ؟ أين أنت ؟
أيها الرجل السعيد ... افرح بسرعة فان عندي لك
خبراً ساراً ... انها لك منذ اليوم خالصة مخلصه .
فلم أفهم مراده بادیء الأمر وقلت له : عمن تتكلم ؟
فقال : عنها هي ... عن تلك المرأة . فقلت : أي
امرأة ؟ فضاق صدره بي : عجيباً لك ... أي
امرأة ؟ المرأة التي رأيتها في المشرب منذ أيام ...
فتذكرت كل شيء وصحت : حقاً ... حقاً .. أخبرني
ماخبرها ! فقال : « يالللحظ عندما يواني الانسان !
لقد كنت بهذا المشرب البارحة وإذا بي الملح امرأة
جالسة إلى مائدة بجوارى أمامها (بوك) من البيرة لم
تمسه شفتاها . وقد أخفت وجهها في منديلها

وطفقت تبكي بكاء مرّاً... فعجبت لأمرها ولبثت
أرقبها حتى تبينت آخر الأمر أنها صاحبتنا (افروديت)
فتحينت منها فرصة وحادثتها. ولم أزل بها حتى
اطمأنت إلى وكشفت لي عن بلاتها: صاحبها البرنزي
اللون وهو أسباني يدعى (جارسبا) قد هرب إلى
بلادته وهجرها بلا مأوى ولا نقود ولا معين. وهي
أجنبية هي الأخرى - ألمانية أو روسية لست أدري
على التحقيق.. اسمها (ساشا شوارتز). وهي تجيد
الفرنسية. وقد كانت تعمل (سكرتيرة) في إحدى
وكالات السفر. فالتقت بهذا الشاب الأسباني فاستجاب
لبها وأخرجها من عملها. وختم قصته معها على هذا
النحو. وليس من اليسير أن تجد سريعاً عملاً يقيها
شر الجوع. فهي لا ترى في رأسها غير أفق حالك
تبدو منه فكرة الانتحار كأنها شمس سوداء...
فبادرتها صائحاً مرتاعاً: تموتين؟ أنت؟ مهلاً

ياسيدتى مهلا ؟ تموتين وعندى شخص يموت فيك
حباً وهياماً وغراماً ! » . فنظرت إلى بعينين كلهما
دهش واستفهام . فأخبرتها بخبرك وضربت لها موعداً
مساء اليوم بذلك المشرب لأقدمك إليهما . كل أمل
هذه المرأة الآن هو أن تجد لها مأوى ومعيناً .
ولا شك عندى فى أنك مستطيع أن تحقق لها هذا
الأمل ... » تصور ذهولى يا اندريه وأنا أسمع من
مسيو « هاب » كل هذا ... لقد حسبته يمزح
ولكن الموعد حانت ساعته . فلم أر فائدة فى اللجاج ،
فجلست معه أنتظر . وإذا بالفعل ... أبصر لدهشتى
« افروديت » تدخل علينا فى حال كسيرة . وقد
أفسدت الدموع أهدابها وأنساها الحزن الالتفات إلى
هندامها . فنهض « هاب » لاستقبالها ، ونهضت أنا
أيضاً كالخجل المأخوذ . وحياتها صاحبى اللف تحية
وقال لها باسمها وهو يقدمنى إليهما : « كنت تريدن

الانتحار يا آنسى ، فيها هو ذا شىء أهون قليلا
من الانتحار .. » فنظرت إلى الفتاة بابتسامة وديعة
فيها أثر الحزن وفيها أيضاً الاستسلام . وكأن كل
شىء فيها ينطق : « ليس الآن أوان الفحص والفرز
والاختيار » وتركنا « هاب » وقد رأى أن مهمته قد
انتهت . فلبثنا وحدنا لحظة صامتتين ، لا أدري ماذا
أقول ... إلى أين سألتها آخر الأمر عن أمتعتها
فقالت لى انها مودعة عند صديقة لها متزوجة ،
أضافتها اللىالى السابقة .. ولم يعد من اللائق أن
تفرض ضيافتها على أسرة أكثر من ذلك ، وكانت
تلك الأسرة تقطن ضواحي باريس والوقت ليلا .
فرأينا أن نرجى ، طلب الأمتعة إلى الصباح وذهبت
بالعادة الحزينة إلى أحد المطاعم فتعشىنا وأنا أحاول
إضحكها والتسرية عنها ، ثم قدتها إلى مسرح تعرض
فيه رواية « فودفيل » مفرحة . فانتعشت قليلا

وضحكت مع الضاحكين ، وخرجنا وقد أنست إلى
 بعض الشيء ، وبدأت تتوطد بيننا الألفة ، وذهبت
 بها إلى خجرتي بشارع بلبور . فسرت كثيراً بالمطبخ
 الصغير الملحق بالحجرة ، وما فيه من أدوات لشيء
 اللحم وجهاز لموقد يشعل بالغاز ، وسألتني أن أعيرها
 تلك الليلة « بيجاما » مما أرتديها للنوم . ففعلت .
 وتشاغلتن بالنظر في كتبتي المكسدة فوق المكتب .
 ولك أن تصدق أيها الخبيث اندريه أو لا تصدق .
 فوالله لم أحاول اختلاس النظر إليها وهي تخلع ثيابها
 ولا أذكر أين فعلت ذلك . هل خلف خزانة الثياب
 أو في المطبخ . كل ما أذكر أنها طلعت على فجأة
 وهي مرتدية « البيجاما » ويكاد نهداها البارزات

يفتقان الرداء . فوقع الكتاب من يدي . فابتسمت
 ابتسمت افروديت . وكانت ليلة لا تنسى ... وبزغ حار
 الصبح . وفتحت عيني وقد راحت السكره وجاءت
 تلك
 الليلة ؟

الفكرة . ونظرت إلى تلك المرأة النائمة في فراشي
وقلت لنفسى : « ماذا أنا صانع بها ... اليوم الأحد
وهو يوم زيارتي المعتادة لمتحف اللوفر . هل أصحبها ؟
إنها لن تطيق المكث في هذا المتحف ست أو سبع
ساعات كما أفعل . وإذا احتملت فإنها لن تستطيع
الوقوف ساعة أمام الصورة الواحدة كما أصنع . وإذا
فعلت فإنها لن تسكت عن بعض التعليقات السخيفة
التي تبدد جو تأملاتي وتفسد على نظام تفكيري ..
ثم إنها ستغير برنامج حياتي . اني الآن آكل
وأعمل وقما أريد وحيثما أريد . ان حياتي غير المقيدة
بمكان ولا بزمان ولا بانسان ستصبح منذ اليوم داخل
إطار محدود من صنع هذه المرأة . إنها عبء وتبعة .
اني لم أخلق لأسير في الحياة وامرأة معلقة بذراعي !
ونهضت من فراشي على عجل وارثديت ثيابي وكتبت
كلمة تركتها لها فوق المكتب خلاصتها : « اني رجل

بوهيمي لا يصلح لرعايتك والسهر على راحتك .
فأرجو أن تحليني من تبعة إسماعك ... فاني است
لهذه النعمة بأهل ... » . وألقيت عليها نظرة أخيرة
وهي في نومها العميق المطمئن ... وانصرفت . ذهبت
توًّا إلى مسيو (هاب) وأخبرته بما حدث فكا ديصمق .
فهدأت من روعه وضاحكته قائلاً : (لاتنس أني رجل
شرقي متوحش . المرأة عندي يجب أن تحبس في (الحريم)
أو على الأقل لا يكون لها دخل كبير في حياتي . إذا
أرادت (ساشا) أن تتخذ من مسكني مأوى لها
فلا مانع لدى ... على شرط أن تتركني حراً ... فلا
تخرج معي . ولا تشعرني بأن لها في حياتي وجوداً . »
ففهم (هاب) مرادى وقال : (لا بأس . أظنها ترضى
بهذا الشرط ... ولكن نفقات طعامها ؟ فقالت له :
(في مقدورى أن أعطيها كل يوم ثمانية فرنكات

أو تسعة^(١) فقال (هاب) : « لئذ انما وعشاها معا ؟ »
 قلت (نعم) فقال : « اجعلها عشرة فرنكات ... »
 فقبلت . وتعهد هو بأن يلقاها في ذلك اليوم ليعرض
 عليها هذا الوضع الجديد . وانصرفت أنا إلى متحف
 اللوفر فغرقت طول يومى فى قاعة الفن الاغريق
 متنقلا بين تماثيل (بالاس) و (ابولون) و (فينوس)
 فى أوضاعها المختلفة .. آه يا اندريه .. ان فن الاغريق
 هو تجميل الطبيعة إلى حد إشهارها بنقصها ...
 لسكانهم يريدون أن يقولوا للطبيعة : انظرى ... كان
 ينبغى أن تصنعى هكذا ! .. ومضى أكثر النهار
 فدلقت إلى قاعة الفن المصرى القديم . ولا يفصل
 بينها وبين قاعة الاغريق - كما تعلم - غير باب صغير .
 ما كدت أنخطى العتبة حتى شعرت بفرق عجيب ...
 انه عالم آخر ... ان فن مصر القديمة هو تحد صارخ

(١) أى ما يعادل وقتئذ ثمانية قروش مصرية .

للطبيعة .. لكنهم يقولون للطبيعة : انظري ...
لا شأن لنا بك .. ولا بمخلوقاتك .. إننا نستطيع
من مخيلتنا ومن تفكيرنا أن نخرج مخلوقات أخرى
غريبة عجيبة لم تخطر لك على بال ... » على أن
الذي استلقت نظري في هذا الفن هو أن
أسلوبه قد أوحى إلى أسلوب الفن الحديث في العصر
الحاضر إلى حد كبير . وخرجت من اللوفر وأنا أقلب
في رأسي الملاحظات والمقارنات ... وذهبت إلى
مطعم صغير أتناول عشاءي ... ثم عدت إلى مسكني
فوجدت المسكينة (ساشا) قد غادرت تاركة لي
هذه الكلمة فوق المكتب : (سيدى ... انك
لا تريدني . وهذا هو كل ما في الأمر . ربما خيبت
ظنك . ولكني أبحث عبثاً وأستعرض في ذاكرتي
كل ما حدث أمس . في المساء والليل على أجد اللحظة
التي أكون قد خيبت ظنك فيها . وليس في مقدوري

سؤالك أو الاستفسار منك . فلقد ذهبت تاركاً لى
تلك الكلمة التى تدعونى فيها — على نحو ظاهر —
إلى الرحيل . إذن ... فلم يبق لى إلا أن أسير فى
طريقى .. أود على كل حال لو حدثتك مرة أخرى .
فاذا لم تر بأساً فى ذلك فانى أرجو منك أن تبعث إلى
كلمة بعنوان صديقتى المسطور فى أعلى خطابى ... »
فى الحق يا أندريه انى تأملت وندمت . لقد كان تصرفى
خالياً من الرفق والرحمة . ولبثت أفكر وأنا أجيل
النظر فى حجرتى الخالية ... ان وجود هذه المرأة
هاهنا ليس عبثاً بالقدر الذى تصوره . انها كانت
تملأ المكان على كل حال بمطرها النفسانى فتغير قليلاً
من هذا الجو المغبر بتراب الكتب . ما أجهلها عند ما
كانت مرتدية ثوب النوم الذى أعرتها إياه البارحة .
ليتها تعود . ما أوحش الليل بدون امرأة ! وقضيت
ليلة مضطربة . وفى اليوم التالى ذهبت إليها فى مسكن

صديقتها ، وحملتها هي وأمتعتها في سيارة وعدت بها
إلى حجرتي بشارع بلبور . وأخبرتني في الطريق أنها
التقت بمسيو هاب في اليوم السابق وأنه أخبرها
بالشرط والنظام الجديد : فمأهده على القيام بتنفيذه
على أدق وجه . وهكذا استقر بنا الحال أياماً : وكان
لحجرتي مفتاحان استبقيت واحداً وأعطيتها الآخر .
فإذا كان الصباح تركت لها فوق مكتبي الفرنكات
للعشرة ثم انطلقت حراً طول يومى فلا أرى لها
وجهاً إلا ليلاً . . هنالك أحيان يحلولى فيها أن
أؤم حجرتي لأكتب الساعات الطوال ... فما كانت
تنبس بحرف . بل كانت تقرأ . تقرأ كل ما يقع
تحت يدها من كتب المكسوسة . لقد عجبت أول
الأمم لكثرة مطالعتها ولاجادتها لغات عدة ...
إلى أن قصت على نشأتها ... وعلمت أنها ابنة مدير
إحدى شركات السكك الحديدية في ألمانيا . . فلما

انهارت الشركة بعد الحرب بانهييار المارك والنظام
الاقتصادى الألماني ... انهارت أسرتها أيضا ...
فات أبوها وتشرد أخوتها وأخواتها في أرجاء أوروبا ...
ونزحت هي إلى فرنسا حيث وجدت ذلك العمل الذي
شغلته في وكالة السفر .. حتى فقدته هو الآخر جريا
وراء قلبها .. إنها بوهيمية هي الأخرى من الطراز
الأول . على أنها لم تفهمنى أيضاً كما كان ينبغي .
فانه لم يمض على نظامنا هذا عشرة أيام حتى نسيت
مراميه وأغراضه . وإذا هي تترك لى فوق مكنتي
هذه الكلمة : « عزيزى .. انك تنغيب طويلا ..
لسكانك تتعمد الهرب من حجرتك ومن وجودى
على الرغم من الجهد الذى أبذله حتى لا أضايقك أو
أثقل عليك . وحديثك هذه تكاد تشعرنى بأنها
مظهر استياء منى . وانى لا أبحث عينا عن السبب ..
يا صديقى العزيز .. انى لا أرجوك من كل قلبى أن

تخبرني عما لا يعجبك مني . قلها بصراحة . . فربما
 كان في الامكان رقيق رباط الثقة والاطمئنان الذي
 يصل أحدهنا بالآخر . هذه الثقة . . . وهذا الاطمئنان
 الذي تخلو منه نفسي في هذه اللحظة . . . ربما كنت
 مخطئة في هذه التقديرات . ربما كنت مسرفة في الوهم
 فأخذت شغلك بعملك على أنه شغل عني . مهما يكن
 من أمر طمئني بكلمة . إني حزينة جداً . إني خارجة
 أستنشق بعض الهواء وأرفه عن نفسي قليلا . ولكني
 أرجو أن تكون على ثقة من أن إخلاصي هو لك
 وابق لديك . . . « الواقع يا أندريه إني عجبت لهذا
 الخطاب . إن الاخلاص أو الحب أو أى عاطفة من
 هذا النوع لم تكن داخلة ضمن الشرط بأى حال .
 وإني لأعلم أن « ساشا » لم تحبني على الاطلاق .
 حقيقة هي لم تذكر لي شيئا عن صاحبها الاسباني منذ
 مجيئها . ولكن ليس معنى ذلك أنها نسيتته . لقد

كانت تقرأ ذات ليلة في الفراش كمعادتها قبل النوم .
وكننت أنا أكتب على مكتبي أو أطلع ؛ وإذا بي
أسمع صوت عبرات مكتومة فرفعت عيني فوجدتها
تحاول إخفاء بكائها ، فسألتها عما بها ، فكانت صريحة
وقالت إن يدها وقعت تلك الليلة على « دون كيشوت »
وأقاصيص نموذجية من أعمال سرفانتز فغمرها في
ذكريات .. ثم قالت وهي تمسح دموعها بيدها :
« لم أكن أعلم أنني أجدها كتباً اسبانية » . فقلت
لها : « عجباً ! أو كنت تريد أن أتجاهل الأدب
الاسباني وأستبعد مؤلفات «سرفانتز» . ومسرحيات
« كالدرون » وكوميديات « لوب دى فيجيا » لأن
لك خايلا اسبانيا ؟ » أجل يا اندريه .. لم يكن بيننا
حب قط .. ولا أذكر أننا تبادلنا كلمة واحدة فيها
حرارة العاطفة الملتهبة . هذا شيء لا يمكن أن يحدث
مع امرأة موجودة . موجودة أمامي في كل وقت .

ان اللحظة الوحيدة التي أحبتها فيها حقاً هي ساعة
دخولها المشرب أول مرة مع صاحبها الاسباني .
انها كانت رائعة ، لأنها كانت شيئاً في السماء مثل
كوكب يتلألأ لا يمكن أن تمتد اليه يدي .
ولكن هذا الكوكب ما لبث أن وقع في كفي فاذا
هو مصباح ضئيل . . يحتاج إلى يدي القاصرة لتلأله
بالزيت وتحميه من التحطم والسقوط . اني لم أزل
أحب « إيما » لأنها شيء بعيد . . غير موجود في
كل وقت . . يصل إلى غناؤها من نافقتها كأنه شعاع
يأتيني من بعيد . انها أعطتني بعض أسرار نفسها
وجسمها . . ولكنها مع ذلك لبست في يدي . شأنها
شأن الطبيعة التي تعطينا وتستعصى علينا . ان الحب
قصة لا يجب أن تنتهي . . قصة « إيما » مستمرة لا تريد
أن تنتهي . ان الحب مسألة رياضية لم تحل . . ان
جوهر الحب مثل جوهر الوجود . لا بد أن يكون

فيه ذلك الذى يسمونه « المجهول » أو « المطلق » .
ان حمى (الحب) عندى هى نوع من حمى (المعرفة)
واسـتـكـشـاف المـجـهـول والجـرى وراء المـطـلق ..
ماذا يكون حال الوجود لو أن الله قذف فى وجوهنا
نـحـن الـآدميين بتلك المعرفة أو ذلك المطلق
الذى نقضى حياتنا نجري وراءه ؟ لا أستطيع تصور
الحياة يومئذ . انها ولاشك لو بقيت بمد ذلك لصارت
شيئاً خالياً من كل جمال وفكر وعاطفة . فـكـل
مانسميه جمالا وفكراً وشعوراً ليس إلا قبسات
النور التى تخرج أثناء جهادنا وكدنا وجريتنا خلف
المطلق والمجهول . لو أن « إيما » قبلت أن
تترك حجرتها كما عرضت عليها وتأتى لتقطن معى
فى حجرتى لكان حظها عندى حظ (ساشا) . هنا
الفرق بين (الغرام) و (الزوجية) . انى أدرك الآن
لماذا يفتر الحب الملتهب بين الخليلين إذا تزوجا . وقد

يعود إلى سابق اشتغاله إذا عادا خيلين ، لكل
منهما حياته المنفصلة . ان الانفصال هو الذى يفرى
بالاتصال .. لهذا كله كانت حياة (ساشا) معى
أقرب إلى الحياة الزوجية الخالية من أى عاطفة
قوية . فما معنى خطابها هذا الذى كتبته اليوم ؟
أتراها أنوثة المرأة تنسى كل شرط وكل انقلاق ولا
تذكر إلا الرغبة فى أن تشغل قلب الرجل ؟ ..
وماذا أنا قائل لها ؟ مادمت أوقن بأنها لا تحبى ..
وطويت رسالتها وطرحتها جانبا . ومضيت فى
عملى ومطالعاتى ... إلى أن عادت ومعها نسخة
من صحيفة يومية ، وأخبرتني مبتهجة بأنها
وجدت لنفسها عملا . فلقد قرأت إعلانا فى
الجريدة لأحد المسارح الراقصة يطلب فتيات لهن
أجسام جميلة تصاح لرقص المجموعة . فتقدمت
فى الحال وكان نصيبها الفوز . فما من شك ان

جسمها يعد خير نموذج لجسم المرأة الجميل . على
ان المسرح لن يعطيها بادی الأمر أكثر من
خمسائة من الفرنكات في الشهر ، وقالت لی وهی
تخلع قبعتها وتثر فی الهواء شعرها الأشقر :
« لا أستطيع كيف أشكرک على معونتك لی ،
ولكنی أرجو منذ الغد أن تكف عن منعی
الفرنكات العشرة . على انی لم أزل بعد فی حاجة إلى
مشاركتك حجرتك . . لأن رجلی كما ترى لا یسمح
لی حتی الآن باقتناء مسكن خاص . . » فقلت لها :
« یاعزیزتی . . . الآن فهمت سر خطابك . . .
أحسبت انی أهرب منك استیاء وتبرما وضمیقا بعبء
العشرة الفرنكات ؟ ! .. فخرجت تبحثن عن عمل ؟
على كل حال ، أنت حرة فی شؤون حیاتك : وانی
دائما عند تعهدی بأن اكون فی معونتك وخدمتك
على الوجه الذی تریدین . » واستمرت حیاتنا المشتركة

تجربى فى مجرى هادى . فـكلانا له شغل منفصل
عن الآخر ، وحياة مخالفة لحياة الآخر . . لا يجمعنا
إلا الليل فى فراش واحد ، ولم يخطر على بالى حتى
مجرد التفكير فى نوع عملينا أو المقارنة بين حياتى
وحياتها منذ ذلك اليوم . فأنا طالب قانون وفلسفة وعلم
وفن وأدب ، وهى راقصة فى مسرح راقص من طراز
« الفولى برجير » أو « المولان روج » . . . لست
أذكر اسمه . . . ولعلنى لم أسألها عنه . . . ولا بد أنها
أخبرتنى باسمه وبخبره فلم أحفل بذلك ولم أع ما قالت
ولم أنصرف بذهنى عما كنت أقرؤه وقتئذ أو أفكر
فيه . . ولم أشعر أنا بتغيير فى نظامنا سوى انقطاعى
عن منحها أى نقود . لقد حدث تغيير فى نظام حياتها
هى . فهى تعود إلى الحجرة كل ليلة بعد التمثيل فى
آخر قطار من قطارات المترو . تعود « بالما كياج »
مطلية من رأسها إلى قدميها بالأحمر والأبيض .

فليس في مسرحها ولا في بيتنا حمام ، فتدس جسمها
المطلى في الفراش على هذه الصورة ... لقد انزعجت
حقاً أول الأمر يوم نهضت في الصباح فأبصرت
جسمي أنا الآخر قد نضح بتلك الألوان ... ولكن
انزعاجي لم يقف عند هذا الحد . انها تعلمت التدخين
بالطبع وأنا أكره رائحة الدخان ... فالويل لي عند ما
كنت آوى إلى فراشي ذات ليلة مبكراً ... انها
كانت تعود آخر الليل والسيجارة في فمها وتسير في
الحجرة على أطراف قدميها حتى لا توقظني وتطرح
معطفها الثقيل عن جسمها العاري - إلا من « مايو »
الرقص - وتذهب إلى المطبخ فتأني بشطيرة خبز
داخلها سردينات ، فهي جائعة ، وتجذب من بين كتبي
قصة لفلوير أو بلزاك أو تمثيلية لبورتوريش أو
لينورمان .. فهي مقيمة على عادة القراءة قبل النوم ..
وتضيء المصباح الكهربائي على رأس السرير . ثم

ترفع عنى الغطاء برفق وحذر ... وتدخل الفراش
إلى جانبي بسردينها ودخانها وكتائبها وأحرها وأبيضها
وتحسب بعد ذلك كله أنها حرصت على عدم إيقاظي
وإزعاجي ... ! لطالما نهضت لأنهرها وأطاب إليها
أن تبطل هذا كله وتنسى . فكانت تستعطفني
وتستعملني حتى تم قراءة القصة ! « تتمين قراءة
القصة ؟ الليلة ؟ .. » الواقع أنها كانت سريعة القراءة
إلى حد كان يدهشني . أنها تم قراءة القصة التمثيلية
في ساعة واحدة . وأنا الذي أقرأها في يومين أو
ثلاثة . ولكن هنالك فرقاً هائلاً بين قراءتي وقراءتها .
أنها تقرأ للحكاية في ذاتها . أما أنا فلا تعينني حكاية
الكاتب بل يعينني فنه وسر صناعته وطريقة أسلوبه
في البناء وخلق الأشخاص ونسج الجوارح وإحداث التأثير .
اني أعيد أحيانا قراءة الفصل الواحد . بل الصفحة
الواحدة مرات .. لكم أعدت قراءة مولير لاشي غير

دراسة طريقته في تقديم الأشخاص ورسم أخلاقهم .
تلك الطريقة التي تختلف أحياناً وتتغير في كل رواية
من رواياته .. لذلك لم تكن قراءة (ساشا) نصائح
أساساً حتى للمناقشة ومبادلة الرأي .. وما كنت
أجنى منها إلا ذلك المصباح المسلط على رأسى والدخان
الذى يضيق به صدرى فى ذلك الهزيع الأخير من
الليل . إنها كانت أحياناً تخشى غضبى فتقفز فى
مطالعاتها فصلاً أو فصلين وتصل إلى خاتمة الكتاب
سريعاً ، ثم تطفىء النور ، وتجذب الغطاء فوقها جذبة
تتركبى أنا فى العراء ، فلا أتمالك نفسى ، وأقرصها
قرصة تصرخ منها فى جوف الليل . ويأتى النهار ،
فتستيقظ فى الضحى ، وأبقى أنا فى السرير كسلاً ..
وتسرع هى إلى ثياب الخروج فترتديها لتذهب إلى
المسرح فى ميعة التجارب (البروفات) ...
لبثنا معاً فى هذه الحياة ثلاثة شهور ، لم يختل

نظامها أو قل « فوضاها » قيد شعرة : حتى تعودت
احتمالها .. فندر غضبي أو ضجري : وبدأت هي تهتم
بما أعمل بمض الاهتمام فكانت تسألني أن
أطلعها على ما أكتب من حوار أو قصص .. فإ
كنت أقبل ذلك .. لست أدري لماذا .. أما هي
فكانت تسألني رأبي في بعض الحركات الجديدة لرقصها
فكنت أتبرم بذلك أيضاً فهذا ليس في رقصا فنيا ،
الرقص الفنى عندى هو « بافلوفا » و « فولار »
و « إيزادورا دونكان » . ورقص الجوقات والمجاميع
في الأوبرات الرفيعة أو في (الباليه الروسى) أو
حتي في الرقصات الدينية التي تراها منقوشة في الفن
المصرى والهندي ، ولكنها كانت تحرك سيقانها ورأسها
وذراعيها في الحجرة فلا أجد مفراً من النظر . كنت
أقول لها ان رقصها هذا في المجموعة جماله ليس في
ذاته بل في التناسق العددي لكميات الأذرع والسيقان

التي تتحرك في وقت واحد . وليته مع ذلك كان
بالروح الفنى المعروف فى راقصات المعابد الهندية ؟
ولقد ألت على إلحاحا شديداً فى أن أذهب مرة
لمشاهدتها على المسرح . وأحضرت لى تذاكر
مجانية ، فلم أجد من نفسى يومئذ حافزاً على الذهاب .
وليتنى ذهبت ... وكاد ينتهى الشتاء فجاءتني ذات
يوم تقول ان المسرح سيوفد الفرقة الراقصة لتقوم
برحلة فى (نيم) و (اورانج) و (افنيون) فى
جنوب فرنسا . وقد تستغرق الرحلة شهراً أو شهرين
وجعلت تتجهز المرحيل وهى ترجونى وتزين لى أن
أذهب معهم فى هذه الرحلة ، فضحكمت للفكرة :
(أذهب فى رحلة الراقصات بأى صفة وعلى أى
وضع ؟ أبصفتى صديق الراقصة .. هذا جميل جداً ..
ومن يدرى ربما عدت من الرحلة وقد عينت
نهایتاً راقصاً بالفرقة أو شيئاً من هذا القبيل ؟

كلا يا عزيزنى ساشا... انى لا أستطيع أن أترك
باريس واللوفر والكتب والحي اللاتينى ومونمارتر
وبلبور... اذهبي أنت وسيبرى بمفردك فى طريق
حياتك، وانى أتمنى لك التوفيق والنجاح...
وودع أحدهما الآخر وداعاً حاراً، وشعرت فى تلك
اللحظة بشيء من السعادة لعودة حريتى الكاملة إلى...
ووجدتى المطلقة... م

الاسكندرية في . .

عزيزى اندريه :

لو خطر لك أن تسألنى عن عملى طول هذا الزمن
(من حيث الأدب والفن) لأجبتك على الفور هذا
الجواب : هو العمل المتواصل على محو كل ما علق
بى من الأدب والفن . وقد نجحت . فلم يبق واحد
من القلائل الذين كانوا يعرفون ميولى الأديبة يذكر
هذه الميول . لقد نسوا الآن ذلك ، وأصبحوا يعرفون
عنى كل شئ ، إلا الصلة بالأدب والفن . على أن
هنالك شيئاً واحداً لم أقو على محوه . انى يا اندريه
مازلت أردد كل يوم فى أعماق نفسى كلما خلوت إليها

السانفونيات رقم « ٥ » و « ٦ » و « ٤ » و « ٩ »
بكل تفاصيلها . إني أصبحت آلف بيتهوفن إلى
درجة يخيل إلى معها أني فهمت سر كتابته وتأليفه
مع جهلي المطبق بالموسيقى . إن أذني لا تستطيع
الآن أن تخدع في أسلوب بيتهوفن بين مئات
الأساليب لمئات الموسيقيين . ان قدرة بيتهوفن في
البناء الصوتي تكاد تفتح أمام ذهني اسرار كل بناء
فني آخر ، بل اسرار البناء في الطبيعة نفسها . . . م

الاسكندرية في . . .

عزبى اندريه

قلت لك انى استطعت الاستغناء عن كل شىء
إلا الموسيقى . هذا صحيح . وإنى بعد أن ختمت
رسالتى السابقة إليك طفقت أفكر وأتساءل : لماذا
الموسيقى دون التصوير مثلاً ؟ إنى أحب التصوير
كما تعلم . الواقع ان الآثار الموسيقية القيمة فى
متناول يدى بمختلف الوسائل . أقربها وأيسرها
الجراموفون . ولكن كيف وأين أتأمل هنا فى مصر
لوحات « جيوتو » و « انجليسكو » و « مملنج » و
« رمبرانت » ؟ ان لدى بالطبع أغلب آثار عظماء

المصورين منقولة ومطبوعة طبعاً متقناً . وإني
لأ تأملها من حين إلى حين . ولكن ليس الحال في
الصور كالحال في الموسيقى . ان الموسيقى المنقولة في
اسطوانات تعطيك على قدر الامكان فكرة شاملة
عن الأثر الفني كله . ولكن الصورة المنقولة تحرمك
أهم ركن من أركان العمل الفني : وهو التلوين . ماذا
يبقى لي مثلاً من لوحة « باخوس » لدافنشي إذا
جردتها من لونها العجيب . انها صورة فتي لا أكثر
ولا أقل . فتي يمثل إله الخمر . ولكن اللون والتلوين
كأنه السحر قلب الصورة فإذا هي عنقود من
العنب . من عنب فلورنسا الأحمر الداكن . ما نظرت
مرة إلى هذه الصورة إلا صحت في نفسي : يا لمعجزة
الفنان الذي استطاع بريشته أن يجعل الآدمي عنقوداً !
ولكنه التلوين . ان الرسم ليهبط أحياناً إلى المحل
الثاني في بعض آثار المصورين . فكيف تريد مني

أن أعيش مع صور فنية بغير ألوان؟ .. وبغير ألوانها
الأصلية التي كد الفنان في تأليفها . لقد قيل ان
« ليوناردو » كان يصنع أو يطبخ ألوانه بنفسه في
معمله المغلق . لقد كان أكثر مصوري عصر النهضة
يفعلون ذلك فيما يظهر . وكان تركيب ألوانهم سرّاً
يحفظونه كأنه تركيب أكسير الحياة ؟ وفيهم العجب ؟
ان أسرار اللون في الصورة الفنية هو سر خلودها .
انه أكسير حياتها . . .

الاسكندرية في . . .

عزبى اندريه

أترانى أغالط نفسى ؟ أخشى أن يكون حجبى
للموسيقى الأوروپية مصدره أنها قبل كل شئ بناء
ذهنى . ذلك أن موسيقانا الشرقية وهى قائمة على
الطرب والتأثير المادى لا تسترعى منى اليوم أى
التفات . الواقع أن الموسيقى الأوروپية بناء فى ذهنى .
شأنها فى ذلك شأن القصة التمثيلية . . . والهندسة
المعمارية . بل شأن المذهب الفلسفى والتفكير الرياضى
انى مازلت أذكر قولك لى يوما ان « عقليتى رياضية »

ربما هذا كان صحيحاً .. لقد كذبت عليك وعلى
نفسى إذا أخبرتك أنى أحل الألوان المحل الأول فى
آثار المصورين . الواقع ان الذى يشير اهتمامى فى
الصورة قبل كل شىء هو ما يسمونه *la composition*
بنيانها وتركيبها . . . وما يسمونه *le rythme* رويها
وتنظيمها . فمثلا لوحة كلوحة « المسيح يحمل صليبه »
لرفايل . اذكر منها كل تفاصيل تركيبها المحكم
بمواضع اشخاصها وحركات اجسامهم وإيماءات
رءوسهم وإشارات أيديهم وطيات ثيابهم ... كل هذه
الأشياء أبصرها وقد اتسقت خطوطها واتزنت
وكونت فى عالم الضوء والرؤية تركيبا جميلا منغما
كأنه قصيد لا ينبؤ فيه لفظ عن الروى .. أما الألوان
فلا أذكرها كثيراً لأن عيني لم تمتلئ بها . امتلاء
العين بالألوان فى الطبيعة والحياة والفن شرط لازم

فى التصوير . ان العقل فى فن التصوير ليس فى الرأس
بقدر ماهو فى العين .. العين النهمة التى تبصر وكأنها
تعرف وتلتهم .. تلك عين المصور المبدع . التصوير
فن حسى أكثر مما هو فن ذهنى . الآن أدركت
السّر الذى طالما حيرنى أمام لوحات « روبانس » .
لطالما تساءلت : ماهذه النساء الممثلات الحما وشجما ،
ذوات الأرداف المترجرجة والحدود المتوردة ، ممن
نبضت بهن ريشة ذلك الفنان ؟ ولطالما تساءلت عن
الغرض الذى دفع مثلاً « بول سيزان » إلى تصوير
طبق من التفاح .. ولطالما عجبت لمغامرات « بنفنتو
تشيلينى » المسطورة فى مذكراته المشهورة وما فيها
من نهم حسى وحشى لمتع الحياة .. الحقيقة ان الفنان
المصور يجب أن تكون حواسه المادية وعلى الأخص
حاسة البصر متيقظة لألوان الطبيعة إلى حد النهم
الوحشى . الفنان النابض بالحياة إما أن يكون متيقظ

الحاسة إلى حد الوحشية أو متيقظ الروح إلى حد
الصوفية . فى المصورين كذلك طائفة من المتصوفة ،
لعل خير مثل لهم هم السابقون لعصر النهضة قبيل
القرن الرابع عشر les primitifs ... على ان الیقظة
الروحیة أو الحسیة فى الفن لیست فى رأی وقفاً على
عصر من العصور ، فهى ترجع أحياناً إلى طبیعة
الفنان وحده وحالات نفسه المتغيرة أحياناً . فريشة
« روبانس » التى صورت « امفريت » زوجة إله
البحر « نبتون » كأنها امرأة تزن ثمانين كيلوجراماً ..
بضة .. غضة .. كتمثال من الزبد .. لا ينبعث
منها أى معنى غیر معنى المادة الحیة والشهوة الحسیة ..
هذه الريشة نفسها هى التى صورت « انزال المسيح
عن الصليب » على نحو رائع ... كله جمال روحى
یبعث فى نفس المشاهد خشوعاً ورحمة وشعوراً دينياً

عميقاً . ان الفناء هو الكائن العجيب الذى يجب
أن يخلص الطبيعة كلها بمادتها وروحها فى ذاته
الضئيلة المحدودة . هو ذلك الكائن الذى يعيش فى
داخله الحيوان والآلهة جنباً إلى جنب ... ؟

الاسكندرية في . . .

عزيرى اندريه :

لماذا لاتصرح بالحقيقة وتقول لى فى غير مداراة :
رح أنت لا تحب الأدب ؟ ! يمنعك من ذلك شىء
واحد : انك منذ عرفتنى لم ترفى أعنى فى حياتى بشىء
آخر غير المطالعة والتأمل . ومع ذلك فهما أنذا اليوم
لا أحب أن أطالع ولا أن أتأمل . . .

آه يا اندريه . لماذا لم أتعلم فى صغرى الموسيقى ؟
إنى خلقت لأعيش كل حياتى فى عالم الأصوات
وحده . اندريه . . . يقوم فى نفسى الآن شك كبير
يوخرنى . شك فى علاقتى بالأدب والفكر . أعترف

لك يا اندريه كأنه اعتراف أمام قسيس : انى لا أقرأ
اليوم خلا رسائلك شيئاً . فقدت لذة القراءة . لعلى
أبالغ فى الجملة . لكنها الحقيقة فى قسط كبير . كاشفى
بحقيقة أمرى ولا تحاول مجاملتى أو مداراتى وقد
كشفت لك عن شكوكى . إنى أصغى إلى الموسيقى
لا للفائدة ولا للاطلاع ولا حتى للحاجة الفكرية أو
السمو الروحى . إنما للحياة نفسها إنى أعيش بين
أنغامها كما تعيش النحلة بين ألوان الازهار . إن
الجمال الذى ينبعث من تناسقها الفنى تدركه فى نفسى
أداة أدق من الفكر الواعى . لماذا لا أقرأ كذلك .
ان القراءة عندى جهد ومشقة ووعى وبقظة . ولاشئ
غير ذلك . إنى أوجه إليك هذا السؤال ولن أنفك
أَسْأَلُكَ الجواب : هل حقيقة بينك وبين ضميرك
تعقد أئى سأنتج شيئاً فى شؤون الفكر
والأدب ؟ ...

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

ماذا تريد منى ؟ نعم انى اطلب إليك وأريد
منك لأنك تستطيع أن تعطينى . يدهشنى فى كل
رسائلك شىء واحد : انك تريد أن أكتب إليك .
ولعله كرم خلق منك . أما أنا فلست أكتب عنك .
لو أنى فى مكانك وأنت فى مكانى لما ترددت فى قطع
العلاقة بهذا الرفيق الناضب المفلس . ما الذى تستبقينى
من أجله ؟ هذا دائماً ما لست أعرفه : تذكرنى هذه
المناسبة بفكرة خطرت لى منذ زمن وهى أن أكرس
لك خطاباً طويلاً أحدثك فيه عن الصداقة . فلقد

هالتي أن أصحو في فترة من هذا السبات الذهني فلا
أجد حولي هاهنا صديقاً ولا رفيقاً . ولعل الذنب
ذني . فقد لحظت من حالي العصبية ومن ضيق
صدرى تعذر جلوسى إلى الرفاق . كما أنى لحظت
هدوء نفسى وانتظام تنفسى واتساع صدرى كلما عدت
إلى حظيرة الوحدة المطلقة . فى أحضان الوحدة
وحدها أتنفس الصعداء فى لذة وراحة . أهو مرض ؟
أهو توحش ؟ أهو حال عارض طارئ ؟ لست
أدرى حتى الآن . ان مجرد الاختلاط العادى
والاجتماع فى ذاته حتى مع من يروقني مجلسه أمر يشق
على نفسى ويعد فى نظرى من الأهوال . تستطيع
أن تقول انى اليوم فى فترة من حياتى وقفت فيها حركة
القلب والعقل معنوياً . إنى أحس نفسى الآن تهبط
إلى مجرد الآلة . إنى غير جدير بأى عمل يحتاج فيه
إلى العقل أو إلى القلب . الحب ! يخيل إلى أنه التفاحة

التي لم أذق حلوها قط ولا أود قط أن أعصى الله من
أجلها . وماذا تريد من شخص لا يعرف حتى الصداقة !
العقل والتفكير ! آه . ذهب ذلك الفتى الذي كان
يقرأ الكتاب ساعة ويسبح في التأمل والاستنباط
ساعات . وماذا تريد من شخص لا يقوى على فتح
جريدة ! كل ما في الانسان من آلة وآلى هو أنا
الآن . أنا اليوم شيء أقل بكثير من إنسان . ومع
ذلك يا عزيزي أندريه تشاء بي سخرية الله أو الشيطان
أن أسمع وصفاً عجيباً لي جرى به لسان رجل عجيب .
كان ذلك في إحدى الزيارات العائلية ساقوني إليها
مرغماً . فجلست لحظة ثم هممت بالانصراف . وإذا
رجل يدخل فيجاس . وإذا الحاضرون يقبلون عليه
طالبين إليه أن يقرأ أكفهم . وقيل لي انه رجل من
ذوى اليسار ومن معارف أصحاب الدار ، ولكنه
ولع بعلم الكف منذ صغره وأنفق عمره في الاحاطة

به والتعمق فيه حتى حذقه . فلم يخطئ مرة في
تنجيـمه . وفرغ الرجل من النظر في أكف الحاضرين
ودعاني أحدهم أن أمد كفي إليه ففعلت . فنظر الرجل
فيها ساعة ثم رفع عينيه إلى وجهي . ولعله ما رأى
فيه غير ابتسامة التشكك في علم رجل غير ذي منظر
ولا هيئة يمان عن ذكاء . لقد كان رجلاً بديناً أصلع
ضعيف البصر ، ترسم على وجهه السداجة إن لم أقل
الغباء . لقد مثل في رأسي صورة للعمدة الفلاح الجاهل
البسيط . ولكنه عندما تكلم قارئاً كفي فاه بالفاظ
أدهشتني : أالفاظ لا تجرى إلا على السنة أهل العلم والفطنة
والثقافة . وإليك نص ماقال : « انت روحاني طبيعتك
روحانية » . وهنا طلبت اليه تفسير هذه الكلمات فقد
عجبت لنطق مثله بمثلها ثم نعمت بمدلولها وهو لا يعرف من
أمرى شيئاً . ولم أتكلم طول الوقت إلا بالتفافه من كلمات

المجاملة . وكنت دائما أصغى الى الآخرين . ولعللى
كنت أصغر الحاضرين شأنا وأقربهم إلى هيئة الحق
والبله) فأجاب : « لا تسألنى تفسيراً . لا تسألنى فى
غير ما أرى : أمامك الشمس . . . الشمس لا ترى فى
كل كف ولا فى كل طالع . . . الشمس أراها فى نجم
حضرتك ! » . . . ولكن حضرتى ما كان يعنيه
بالضرورة غير مسألة « أكل عيشه » وكسب قوته .
فأسرعت قائلاً : « وماذا غير ذلك ؟ » فضى
يقول : « ثم انك من حيث الثروة والسعادة قنوع .
سعادتك فى القناعة . والغنى عندك قناعة . يعنى لن
يكون غناك فى المال . » ثم قال : « وانت تحب العزلة .
انت مثل رجل منقطع . . . » هنا شعرت برجفة .
تلك يا أندريه هى الحقيقة الوحيدة التى اعتقدت أن
الرجل قد فاه بها . ولا تستطيع أن تتصور مقدار
دهشتى عند ما قال ذلك خصوصاً فى وقت كنت

أكثر فيه من تأمل حالي المزعجة . ونظر الرجل
أيضاً ثم قال شيئاً غمضى وغم أهلى على الخصوص .
فقد قال أفاده الله : « فقط . . فقط . . . » . است
أرى طريقك فى مناصب رسمية . « فلم أردد فهم
مراده . بادىء الأمر . وخالجنى قلق وكدر
فأنا لم أزل مستبشراً بوظيفتى القضائية التى كادت
تم اجراءآت تعيينى فيها . . . فقلت له : « وما معنى
طالعى اذن اذا كنت لا ترى لى طريقاً فى وظائف
ال . . . » فقطاعنى بعنف : « أنا أرى فقط ولا
أفسر » . لقد أوردت لك يا أندريه . نص
ألفاظ الرجل على وجه التقريب . فما رأيك ؟
إذا أردت رأيي أنا فاعلم انى ضحككت فى نفسى
كثيراً لقوله إنى « روحانى » ! من العجيب أن
يحمىء قوله هذا فى وقت أوقن فيه بأننى « مادى » المادية
كلها بل « آلى » الآلية كلها . لقد كدت أصيح فى

وجه الرجل قائلا : أيها المنجم ، انى أوثر أن أمسخ قدرا
على أن تصدق فى « روحانيتك » هذه . ما أضاعنى
إلا هذه الروحانية . أما « الشمس » أيها المنجم فانى
أبيعها لمن يشتريها من الحاضرين بمبلغ مائة وعشرين
قرشاً ممن تذاكر دخول كازينو سان ستيفانو لحضور
« كونسيرتات » الخواجة بونوى ! « القناعة » !
سأعيش بالقناعة طول حياتى ؟ يا للبؤس ! لماذا ؟
لأن القناعة تاج دائم ؟ ! لا ياسيدى المنجم .
انى مستعد أيضا لعرض هذا التاج للبيع بالمزاد .
سأبيعه بالبخس كما بيعت تيجان آل رومانوف
والخليفة العثمانى . نحن نعيش الآن عصرا تحول فيه
التيجان الى ورق من البنكنوت ! إن هذا العالم
بالكف الذى لم يخطئ مرة ، قد أخطأ هذه المرة ،
حتى يحق له أن يقول انه أخطأ مرة . فالاستثناء
يسبغ أحيانا على الأخبار رداء الصدق والحقيقة .

آه يا اندريه ! انى فى حاجة إلى أن يدق القلب دقتين
أو ثلاثاً ، ثم يقف . . . لدينا ساعة كبيرة فى ردهة
الطابق الأسفل . جئت من أوروبا فوجدتها . وقيل
لى إنها مشتراة فى مزاد عام . منذ ثلاثة أعوام .
ساعة سليمة دقيقة تسير على خير ماتكون الدقة
والضبط . . . ولم تعرف قط يومالوقوف ولا التأخير
وإذا بها ذات يوم قد وقفت فجأة . فدهش لذلك
أهل البيت . وهاجوا وماجوا . وجعل كل يقترح
أمراً لأصلاحها . فحاولت أنا إصلاحها فلم تصلح .
وسمع والدى بأمرها فنزل من حجرته إليها يعالجها
باللين فلم تصلح . فطلب مطرقة وجعل يدق بعض
مافي هيكلها من مسامير ويفك بعض مافي جوفها
من تروس . فلم يظفر بطائل . فتركها آخر الأمر
وتركناها يائسين . وإذا بها ذات ليلة تدق فى جوف
الليل من تلقاء نفسها والكل نيام ، دقتين أو

ثلاثاً . . . فى ذلك السكون التام . . . ومنذ تلك اللحظة
سارت . . . ولا يدري غير الله ما أوقفها وما سيرها !
ترى بعد موت طويل يستطيع القلب أن يدق
دقتين أو ثلاثاً ، يعقبها البعث والحياة ؟ . . .

الاسكندرية في . . .

عزبى اندريه

مات «بونومى» ! مات «إدجار بونومى» !
الأحد الماضى فقط . منذ ثلاثة أيام رأيته فى كازينو
سان استيفانو يقود «أندانت» السانفونية الثانية
و «أليجرو» السانفونية الأولى «جلوستاف ماهر»
وال *Antiche danza* «لرسبيجي» وكونسرتو البيانو
والأوركستر «لأدوار جريج» . . . فقط أمس
الأول سمعت صوته فى طرقات الكازينو يعبد
«بروفات» الأحد القادم !
و فقط أمس ظهرت على جدران رمل الاسكندرية

الاعلانات المعتادة لأسماء القطع التي ستعزف في
الحفلة المقبلة . وعلى رأسها La Rédemption
لسيزار فرانك . إدارة الكازينو جاهلة ما يجنبه
عزرائيل للمايسترو المسكين ! فهي مازالت كعادتها
جادة في إصدار الاعلانات وتوزيعها متوجة بالعبارة
المألوفة : « الكونسير سانفونيك : رقم ١٤ تحت
قيادة المايسترو ادجار بونومي » .

إلى رحمة الله يا بونومي !

حتى أنت ! الوحيد الذي لنا في مصر !

إن موت هذا الرجل نكبة عندي . ومهما يكن
من أمره وأمر فنه ، فقد كان لي فيه العزاء والسلوى
في هذا البلد الفقير إلى الفن . قل إن الله يريد حرماني
كل مصدر سعادة روحية ، حتى انقلب في النهاية
بهما يرعى أرض مصر الخصيبة !

لا بأس . فلنرجع إلى الجراموفون الآلى .

ولكن... رحمة الله عليك يا بنونى بمقدار ما
أسعدتني فى لحظات ...



اندرية ، هذا ثالث خطاب إليك من سلسلة
خطابات مكتوبة ولا شك تحت تأثير حالة شبيهة
واحدة . وأخشى أن تفسر هذه الحالة بما اعتدت أن
تفسرها به ، قائلا : « أوه ، إنى أفهم حالته جيداً
من خلال سـطوره ! » . الواقع أنك قدبر على
استشفاف ما بين سطورى : غير أنى لا أريد أن
تفهم أكثر من انى الآن فى حالة كآبة عارضة .
وهل لا تعطينى حتى حق الوقوع فى الكآبة من
حين إلى حين ؟ لكن ثقى أنها حالة نفسية داخلية
لا أثر لها فى تصرفاتى الخارجية ولا صدى لها فى
أعمالى الظاهرة ولا تظهر حتى لأعين غيرك من
الناس . ومع ذلك فانى قد محوتها أو سأمحوها من

أمام عينيك أنت أيضاً ، لأنني أعلم أنك لا تحبني
مكتئباً . نعم ، يجب عليّ أن أخاطبك ضاحكاً دائماً ،
وإلا حق لك أن تصيح بي : « اضحك أيها البلياتشو ! »
كما حق للجمهور أن يصيح ببلياتشو « ليون كافاللو »
في (الأوبرا) المشهورة !

نعم ، لماذا أطلعك على الأركان السوداء من
حياتي ؟ أنت الذي لا يأخذ حياتي على سبيل الجد .
فلا لبسن لك « الطرطور » ولا دهنن لك الوجه
بالدقيق . ولتدق الطبول ، ولينفخ في البوق ، وليرفع
الستار عن الفصل المضحك :

اسمع ياسيدي ، أيام أن كان صديقك الشرقي
يتناول الغداء في المطعم الالزاسي . لقد زعم ان
« الساقية » الرشيقة خادم المحل كانت تخالسه النظر .
الواقع انها منذ وقع بصرها عليه أول مرة وهي لا تفتأ
ترمقه كلما مرت به حاملة طبق الكرنب المعمر بسجق

« فرانكفور » أو « نصف ييرة » أو « واحد »
جين « كامبير » . لقد عجبت حقاً لأمر هذه الجميلة
التي سغت على بكل هذا العطف ، إذ خصتني بالتفاتها
دون أولئك العديدين الذين لا يأتون إلى هذا المكان
إلا من أجابها . أجل ياسيد أندريه ، لم تكن أنت
وحدك الذي كان يصنع ذلك . لقد كانت هنالك عصابة
شبان يظهر انهم من الترويج ، كانوا يختلفون إلى ذلك
المطعم لرؤية (القمر) في نصف النهار ! أما عن
فرح (توفيق الحكيم) بهذا العطف الخاص فحدث
ولا حرج . لقد شتمخ وانتفخ وقال لنفسه : (لعل
ميزة خفية أو ظاهرة في هي التي استلفتت نظر
الفتاة !) . وأراد يوماً أن يتسم لها ، ولكنه نظر
قبل ذلك إلى وجهه في المرآة ، وإذا هو فجأة يدرك
سر نظرات الجميلة إليه . ياخيبة الأمل ! وتذكر في
تلك اللحظة ان نظراتها كانت موجهة في حقيقة

الأمر إلى رأسه .. إلى شعره .. إلى ذلك الشعر
المنقوش (أرتستيك) ومن تحته ذلك الوجه الغريب
بعينه اللتين تشبهان أعين أهل الأساطير الدينية
المصورة في الفسيفساء البيزنطية ، وشفتيه الغليظتين
الأفريقيتين كأنهما شفتا ساحر زنجي ... عند ذاك
تذكر أيضا ماقالته فيه خادم الأسرة التي نزل عندها
بجي (فوجيرار) أول عهده بباريس . لقد دخلت
عليه الخادم في الصباح تحمل صينية الفطور .
فوقع بصرها عليه في السرير . لا يبدو منه إلا رأس
يطل من اللحاف الناصع كأنه رأس يوحنا المعمدان
على صينية الفضة . ولكن حاشا لله أن يكون هذا
معمدانا ! صاحب مثل هذا الرأس لا يمكن أن يكون
من الأدميين ! ذلك ولا ريب ما جال بخاطر الخادم
وهي تنظر إلى شعري الذي هب قائما إلى ما فوق
مسند السرير في شكل دائرة . كأنه هالة من (الهباب)

الأَسود على حافة الوسادة البيضاء : أما الوجه فوق
الوسادة وتحت الهالة فلم تره لحسن الحظ . ومضت
الأيام . وإذا صاحبة البيت تقول لى ذات يوم باسمه
وقد زالت بيننا الكلفة : أتدرى ما حدث فى
صباحك الأول لدينا ؟ لقد جاءتنى الخادم تقول
مرتاعة : (أتدرين ياسيدتى من حل بدارنا ؟ ..
فسألتها : من ؟ فأجابت : C'est Le Diable انه
الشیطان ! ..)

ولعلها صدقت . ولست أدري ماذا كرنى الساعة
بهذه الحادثة التى كدت أنساها . ولم يذكرنى بها حتى
خطابك الممتع الذى حدثتنى فيه عن ذلك القسيس
الذى ظن (توفيق الحكيم بملابسه السوداء)
الشیطان أو المسيح الدجال . إذن ما جاء بخطابك لم
يكن محض خرافة ولا تأليف ! من يدري . لعلى

أخذت عن إبليس صورته وهيئته . لكن ... هل
تظن أن لي أيضاً قلبه ؟ لا أظن . وبعد ...
فلتسكت الطبول ، وليغسل (البلياتشو) وجهه ،
فقد انتهى الفصل المضحك ! ...

الاسكندرية في . . .

٣١

عزيزى اندريه :

هل حقا أنت تفهمنى ؟ وهل تقدر ما أنا فيه ؟
انها دائما حالة القلق والبحث والتنقيب عن الأسلوب .
لكن انتظر . ماذا أريد أن أقول ؟ هل لى الحق أن
أتكلم فى الأدب ؟ مع ذلك أتقطع شكاً وقلقاً
وبحثاً يا صديقى اندريه ، لا عن اسلوب الأدب
وحده . بل عن اسلوب حياتى ... م

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

ولنعد إلى ماجاء فى رسالتيك الأخيرتين عن
غرقك فى بحر الكتب والمطالعات وخروجك مصابا
بحمى الشك والقلق . ينبغى ان أبادر فأقول لك ان
هذا القلق مرض دورى لكل رجل فكرر . أين
كنت أنت أيام إصابتي بهذا المرض الاصابة الأولى ؟
لقد حدث لى بالضبط كل ماوصفت . فى ذلك الوقت
كنت انت فى مصنعك بعيداً عن المنطقة الجديدة
العميقة من نفسى . وكنت أنا فى حجرى قريباً من
مسكن المأسوف عليه إيفان . لقد كان العامان

الآخران من عهد باريس رازحين تحت أثقال هذا
 المرض الموهن . لقد فتحت أمامي المطالعات دنيوات
 لا قبل لى بها وعوالم لا حدود لها . وقد حدث ذلك
 فجأة أو على الأقل فى سرعة لم يتحملها ذهنى . فصار
 مثلى مثل ذبابة أطلقت فى اجواز الفضاء الهائل وهى
 التى ماهامت إلا فى جو الحجرة الضيقة وما عرفت
 النور إلا من خلال النافذة الزجاجية المغلقة . على أن
 هنالك فرقاً بينى وبينك لا يجوز أن تنساه . فرق
 جعل مرضى أثقل وطأة وأشد فتكاً . ذلك أنى
 كنت اعتبر شؤون الأدب والفكر حرفة وغاية .
 وكنت أدع المتصلين بى يفهمون عنى ذلك . وكنت
 أعلن لا فقط حى لشؤون الفكر والأدب والفن
 بل اشتغالى السكلى بها . أما انت فقد كنت تعمل
 عملاً حقيقياً ترتق منه وتأخذ على سبيل الجهد
 وما كانت المطالعات عندك إلا هواية . وما كان

الاغراق في التأمل والتفكير والخيال إلا موضوع
سخريتك ، على الأقل في أول عهدك . إلى أن
رضيت آخر الأمر أن تتفضل على هذه الأمور
بنظرة تسامح . ذلك حالك وهو كما ترى ليس خطيرا
إلى حد كبير . أما أنا فقد تفاقم خطيبي . لقد أضعت
وقتي كله في باريس منحنيا على مكتب الحجرة رقم
٤٨ بشارع بلبور . اقرأ وأقرأ حتى قرأت كل شيء .
لم أترك شيئا في تاريخ النشاط الذهني لم أطلع
عليه . لقد غرقت في آداب الأمم كلها وفلسفاتها
وفنونها . لم أكن أسمح لنفسى بأن أجهل فرعا من
فروع المعرفة لاني كنت أعتقد أن الأديب في
في عصرنا الحاضر يجب أن يكون « موسوعيا »
لذلك بذت جهدي في أن أحيط بأبرز ما أنتجت
العبقرية الانسانية . حتى العلوم ، أردت أن ألم الماما
بأهم نتائجها . ففي الهندسة حاولت فهم هندسة نيومان

المعارضة لهندسة افلاطون التقليدية . والرياضة
أردت فهم مراميها العليا في مؤلفات الرياضى هنرى
بونكاريه . والطبيعة والفلك بدأتها باسحق نيوتن حتى
بلغت نظرية اينشتاين التى قرأت فيها وحدها نحو
خمسة كتب . وفى علم الحياة قرأت بعض
كتب داروين ولا مارك . . . وفى علوم النفس بدأت
بكتب جورج توماس وارمان ريبو وانتهيت إلى
أكثر ما كتب عن نظريات فرويد . ولقمت نظرى
العلوم التيوزوفية فقرأت كتب « آن بيزانت وادوار
شوريه وروودولف ستينر » وخرجت منها الى العلوم
الروحية فقرأت ابحاث اوليفر لودج ووليام باريت
وفلاماريوت . حتى علوم الكهرباء حاولت فهم
ما أستطيع فهمه من نظريات فاراداي وتومسون
وبيران ... الخ ... أما قراءتى فى القصص التمثيلية فهى
أعجب شئ فعلته . لقد قرأت كما أخبرتك ذات

مرة « المكتبة المسرحية » La Librairie Théâtrale
برمتها . فانا كنت أراسلها من مصر قبل نزوحى
إلى فرنسا . واعرف عنونها في الجران بولفار .
وكانت هي أول حانوت دخلته إذ دخلت باريس .
فجملت أختلف إليها أيلما طويلة أطالع صفوف كتبها
صفا صفا . وانطلق آخر النهار بما استطيع شراءه
مدارة لصاحب الحانوت . واعتاد الكتي رويى
كل يوم على هذا الحال . . . إلى أن نظر ذات يوم
حوله فلم يجدنى . فسأل في ذلك أحد عماله مستغربا ..
ثم حانت منه التفاتة إلى أعلى المحل فأبصرنى في قة
السلم لاصقاً بالسقف ألهم الكتب التي في الصف
العلوى الأخير .. أجل يا اندريه فعات هذا وبعد ذلك
كله انكسبت اكتب واكتب مخطوطات ...
كان مصريرها كلها التمزيق . ان ما جعلتك تقرأه
منها يا اندريه لا يوازي جزءاً من عشرة أجزاء مما

أخفيته عنك وانتهيت الى تمزيقه قبل أن تطلع عليه
 عين . ولعل ما قرأته انت هو أنكب وأقبس
 ما سودت به وجه ورق . انها سهول من الصحارى
 والرمال تصور لنا سرايا بعيداً لن نبلغه أبداً . سهول
 من الأساليب المختلفة كلها « السهل الممتنع » .
 يحسب القارئ انه محيطة بأسرارها واضع اليد على
 مفاتيحها مستطيع أن يباغ مبلغها لو أمعن في السير
 والبحث والكتابة . فيسير ويسير متوها في كل
 خطوة انه يبصر « اسلوبه الخاص » المنشود يامع
 فوق تلك السهول . لكنه ما يبصر غير سراب .
 ولشد ما توهمنا ان الأسلوب الخاص معناه التجديد
 وان التجديد معناه الاغراب . وبهذا الوهم كتبت
 حماقات كنت أحسبها شعراً . ونزعت الى الاغراب
 خشية التقليد فاذا بي أقع دون أن اشعر في محاكاة
 « الدادايزم » و « السورر يالزم » و « الكوبزم »

الأدبي . وإذا ما كنت أظنه استيعاء مبتكراً في
وضع الشعر على طريقة « بيكاسو » و « ماتيس »
في التصوير الحديث ، ليس إلا صدى باهتاً لطريقة
(جان كوكتو) ونزعاً (مارسيل شووب)
وانجاءات (ماكس جاكوب) . وضعت في هذا
الأسلوب قطعاً كثيرة أهمها : (النفس) و (القبلة
و (أبو الهول) الخ ... مزقتها طبعاً قبل أن أفكر
في اطلاعك عليها ... وغير ذلك كم من الفصول
التمثيلية كتبت ومزقت ! لقد كنت أظن أن كتب
أحياناً تسع أو عشر ساعات في اليوم بلا انقطاع دون
أن اذكر الجوع أو افطن إلى أوقات الطعام . ولقد
انفقت شهوراً في وضع قصة تمثيلية قرأتها الصديق
مسيو هاب وقد كان قبل الحرب ممثلاً مهما كما تعلم
في أشهر مسارح باريس ... قرأتها معاً في يوم
بأكمله بحديقة اللوكسمبورج ، وكان مصيرها

« الالقاء » في أول مرحاض عام بشارع مديسيس .
ذلك انى لم أستطع صبراً على الانتظار حتى أعود إلى
مسكرنى فألقيها في سلة المطبخ . ولكنى لم أفتظ
مع كل ذلك . لقد استمرت الحى بعدئذ سنتين
كاملتين قاسيت فيهما كثيراً . لقد كان الفراق
مستحزاً على إلى درجة مروعة . لآنى كنت أظن
فى الأدب مستقبلى . لقد كنت أضرب على نفسى
المتعبة بشيء من الراحة والاستجمام . لقد دعانى
زملائى المفاحون من دكارة الحقوق إلى السفر معهم
فى الصيف إلى شاطئ « أوستند » أو إلى جبال
(الفوج) أو إلى قرية على بحيرات سويسرا
استكشفوها . وكانوا يذهبون لنزهة الصيف
زرافات ، يضحكون ويلهون وكلهم فرح بالحياة ،
مدرك لقيمة الشباب . أما أنا فى باريس دائماً ، قد انحنى
ظهرى على مكتبى بشارع بلبور لا أبحث وأبحث عن

ذلك السراب الذى يدعى «الأسلوب» . حتى الحب .
حتى (فينوس) ضحيتهما من أجل (أبولون) . لقد
كنت أصالح (إيمما) يوماً لأخاصمها شهراً . ولقد
كانت تشاء الظروف ان أقابلها فى المصعد وجهاً لوجه
وتسنع فرصة الصفاء واللقاء . ولكنى أقول فى
نفسى : علام الصلح وأنا لم أزل مع الفن فى خصام !
وأعود الى أوراقى انكب عليها انكباً با غير حافل
بغضب (إلهة الحب) معفراً جبينى عند أقدام (إله
الشعر والفن) . وإذا بهذا الاله القاسى يهزأ فى النهاية
بى وكدى ويدسم لى قائلاً بلسان مسيو هاب :
(نعم . نعم .. لديك موهبة الحوار .. لكن ...)
فيلقى بهذه الكلمة الصغيرة جرثومة الشك فى أعماق
نفسى . فانهال على عملى تمزيقاً لا يبدأ عملاً آخر فى
كد ونشاط قاتلين . ويأتى الشتاء دون أن اشعر
ويسافر أصدقائى إلى التمتع بالشمس فى (نيس)

و (جراس) . وأنا أنا على عهدى أرفض الذهاب معهم
لألقى بنفسى من جديد فى انون تلك الحمى المستعرة .
ولا اكاد افيق إلا على صوت غناء (إيما) يصعد إلى
من نافذتها بالطابق السفلى . ولكن ... أين لى راحة
الضمير : أين لى ذلك الاطمئنان إلى آخرة طريق
الوعر المغلف بالضباب : أين لى ثقى بنفسى وعملى ،
أين لى الأمل ببعض النجاح : أين لى القليل من
الرجاء يلطف من ذلك القلق الذى يحرمنى التمتع بالحياة
والشباب وباريس . ما كان شىء يؤلمنى ويطن من قابى
مثل سماع تلك الأغنية الباريسية الشعبية التى مطلعها :
Si Vous voulez l'amour n'attendez pas huit jours
(إذا كنت تريد الغرام فلا تنتظر ثمانية أيام)
وأنا لا انتظر ثمانية أيام فقط . إنما انتظر الأبد .
انتظر السراب الذى لن يأتى . انتظر الوصول إلى
مفتاح حياتى وسر غدى . بل انتظر على الأقل

علامة واحدة تدلني على ان ما انفق من وقت وجهد
والم في البحث لم يضع عبثا ...

لقد كان مسيو هاب يعيب على شيئا واحداً :
كتسابتي بالفرنسية مباشرة . ولكن ذلك لم يفت في
عضدي ووضعني هذا القول وامثاله في جحيم المعركة
من جديد ... فاندفعت اعمل سنة كاملة أخرى
كتبت في نهايتها صفحات تقرب من الخمسمائة لم
اطلعك عليها . ولكن بعض الأصدقاء حملوها إلى
ناقد فرنسي معروف : لم يرنى ولم يعرفني : يستطيع
ان يصدقني الرأي ، فأبدى رأيه في خطاب طويل ،
فيه تحليل دقيق : ختمه بالعبارة المعهودة :
افكار كثيرة وموهبة في الحوار ... لكن ...
beaucoup d'idées, le don du dialogue, mais ...
آه لهذه ال (mais) ! .. آه لهذه ال (لكن) ! فتلتني
هذه ال (mais) ! اطالما مزقت وقتي وجهدي ...

وقلبي ! . . . وشعرب انى سجين هذه ال mais أقطع
مما سجين بهاملك روما فى قصة (ادمون رويستان) ..
ومزقت تلك الصفحات ايضا . ان اعتراضات الجميع
لا تتغير : (لماذا تحاول ان تتكلف الأسلوب تكلفاً ؟)
انه لا يفوح من اسلوبك الفرنسى أى عطر شخصى
أأخذ ... انما هى عبارات محفوظة فى كتب البلاغة
تحتسب انها اسلوب رائع !) ... حقاً ... ان احتفالى
بأمر الأسلوب قد اوقعنى فى التقليد ... آه لكلمة
اسلوب ، ولكلمة formule . . . ! لقد بدأت أبصر
وقتئذ . . . لقد تبين لى بعد طول الجرى والجهد ان
الأسلوب احيانا حجة الكاتب الذى لا يجد ما يقول .
ان الذى عنده ما يقول للناس يخرج بكل بساطة
مالديه من كنوز . . . لا يحفل بأسلوب التقديم
ويتكلف الوضع المسرحى فى الاعطاء إلا ذلك الذى
يعطى شيئاً تافهاً . ما الأسلوب إلا تلك الآلة

الصناعية التي نتوسل بها للوصول إلى الحقيقة .
ولكن ما أروع الحقيقة لو تفجرت وحدها من أعماق
القلب الصادق في كلمات بسيطة . لهذا كان الأسلوب
أحيانا كل أدب أولئك الذين لا يحملون في جمعيتهم
ما ينفع الناس . . ولقد لاحظت انت يا اندريه بحق
ان كتابا مثل كتاب (السحر الأسود) لبول موران
هو مجرد أسلوب . وان كتابا مثل كتاب « قافلة
بغير إبل » لرولان دورجليس ليس سوى أسلوب .
هذا العصر الآلى يلجأ أحيانا إلى آلة الأسلوب كلما
أعوزته روح الحقائق الانسانية التي أبرزها الأدب
القديم . الأسلوب هو المظهر الخادع الذي يخفى به
كتاب اليوم جهلهم المطبق بروح الشعوب التي
يزعمون النفوذ إلى صميمها في مدى رحلة شهرين
بالقطار والباخرة ! انهم يستعوضون بفن (الديكور)
الكلامى والريبورتاج السريع واللون المحلى السطحي

عن الحقائق التي لا يحسها إلا أهائها . ان ما يطلبه
الغرب وما يطلبه الشرق أشياء غير ذلك . اقرأ
مقالات لويس برتران عن اسبانيا ... انه قد أدرك
كل هذا . فهو يتهم كتاب فرنسا المعاصرين بأنهم
لاهتمامهم باللون السطحي وحده قضوا على اسبانيا
أن تظل مجهولة الى الأبد لعين فرنسا . وأنا أزيد
عليه ان كتاب اسبانيا أيضاً من امثال بلاسكو ايبانيز
ساهموا في هذا التضليل . لقد قيل ان هذا الكتاب
الاسباني المشهور كان ذا وجهين : وجه يتجه إلى وطنه
ينشئ له أعمالاً هي وحدها ذات القيمة الحقيقية .
ووجه يتجه إلى أوروبا فينشئ لها أعمالاً دولية .
وأوروبا للأسف لا تعرف إلا هذا الجانب المصنوع
لها صنماً . إذا كان هذا قد قيل عن اسبانيا فماذا يقال
عن مصر والشرق ؟ ان مهمة كاتب مصري أو شرقي لأشق
وأعسر وأكبر من ذلك كله ! ولكن لا بد من جهادنا

حتى في بلادنا أيضاً . فان الأسلوب السليم لم يزل في
عرفنا مرادف اللغة المتصنعة المنمقة . وقليل من فطن
الى ان الأسلوب هو روح وشخصية . لقد كان
مسيو « هاب » يدعوني إلى ترك الكتابة الفرنسية
لأنني لا أحسنها . على النقيض . لأنه رأى أنني أتكلمها
وأنتقها واستخدم تراكيب موضوعية وبلاغة محفوظة
مما حبس روحي وسجن شخصيتي في إغلال من
الكذب والتصنع . لقد أصاب الحقيقة . لا يخلق
الأسلوب الحق إلا الكاتب الصادق في شعوره
وتفكيره إلى حد ينسبه أنه ينشئ أسلوباً . البلاغة
الحقيقية هي الفكرة النبيلة في الثوب البسيط . هي
التواضع في الزى والتسامي في الفكر . كذلك كان
أسلوب الانبياء في حياتهم : انظر إلى محمد وعيسى
على الخصوص : بساطة في اللبس ، وتواضع في المظهر

وسمو في الشعور والتفكير . . .

انى يا اندريه مهتم كل الاهتمام بالتفانك الحاضر
إلى الأدب . وان بحسبك وشكك وقلقك لما
يدنيك الى نفسى . فرحبا بك . امض فيما انت فيه .
ولا تخش هذا « المرض الضرورى » . بل يجب ان
لا تشفى منه سريعا . حينذا لو اتصلت بك وبما تقرأ
أكثر من ذلك . ولو أنى اتبع اليوم « نظاما
صحيا » régime sec أى عدم المطالعة فى الأدب
اطلاقا . قراءتى الآن قليلة . وفى أشياء أخرى غير
الادب ، مثل تقارير عصبة الامم ، وسياسة أوروبا
الاقتصادية بعد الحرب . . . الخ

حاشية — أصبح الامل ضئيلا فى امر تعيينى
النهائى بالقضاء المختلط . فانى بعد أن ألحقت بنبابة

الاسكندرية نحت المدرين توطئة للتعين . ولبثت
أعمل تلك الشهور الطوال ، عينوا في كل وظيفة
تخلو أشخاصا غيرى وتركوني في القاع كئالة
الكأس

الاسكندرية في . . .

عزرى اندريه

أحقيقة ان امرأة تستطيع أن تميل إلى . . . ؟
 آه أيها الماكر . . . لقد كشفت حيلتك . تريد أن
 توهمني ان « الجميلة » ساقية المطعم الالزاسي تحمل لي
 أجمل الذكري كلاً . انك تعاملني دائماً كما يعامل
 طبيب مريضاً . وهذه الفكرة وحدها كفيلة أن
 تجعلني لا أصدق ما تقول . تذكر لي أنك دعوتها
 إلى العشاء . وتخشى غضبي . لا ياسيدي . إنى لم
 أغضب . على النقيض . لقد سرني ذلك . انها
 كانت عندي شيئاً جميلاً حقاً . شيء جميل لم أجرو

على مسه بأناملى ، حتى لا ينهار أملى فيه . ليت الأمر
 اقتصر على الحب يا اندريه . كل شىء ينهار بامسة من
 يدى ... كأنما أبى الآمال من الرمال . لقد مضى
 أكثر من عام وأنا فى الاسكندرية . لقد تغيرت
 كثيراً وتنازلت عن أغلب أفكارى وآمالى . لقد
 أرغمتنى الحياة على المصانعة فى أمور كثيرة : لقد
 نبذت فكرة القضاء المختلط واتجهت شطر القضاء
 الأهلى .. إنى الآن فى انتظار أى قضاء ؟ ! ان الحياة
 لتقهرنى قهراً على قبول مالا أريد ... إنى منذ التحاقى
 بالنيابة المختلطة تلك الشهور ، وأنا أختلط بطوائف
 من الموظفين وبألوان من الناس ما كنت أحسب انى
 استطيع الحياة بينهم يوماً . وحتى مطالعائى الآن
 أكثرها ... عدا ما يتعلق منها بعملى الرسمى - ينجح
 إلى الدراسات الجافة والمسائل الاقتصادية . ومع ذلك
 فأنى أشعر دائماً ان فى نفسى منطقة رفيعة منيعة

لا يصل إليها أحد . فاني ما أكاد أختتم أعمال النهار ...
حتى آوى الى حجرتي أصغى الى اسطوانة « عصفور
النار » لسترافنسكى . لقد أخطأت يا اندريه كما
أخطأت أنا من قبل إذ نظن حياة العمل والواقع
قديرة على انتزاع حب الجمال من أنفسنا : واأسفاه !
ان كل ما كسبته نفسى من اتصالها بالفن الحق كان
حقيقيا خالصا لازيف فيه .

إني أعيش فى الظاهر كما يعيش الناس فى هذه
البلاد . أما فى الباطن فما زالت لى آلهتى وعقائدى
ومثلى العليا . كل آلامى مرجعها هذا التناقض بين
حياتى الظاهرة وحياتى الباطنة .

إنى أصر على مراسلتك هذا الاصرار لأنك
الوحيد الذى يعمر هذه الحياة الثانية . انها صحراء
أصيح فى أرجائها وأنت وحدك الذى يسمع رجى
الصدى . آه انك لن تقدر آلام من يعيش فى غير

عصره . فأنت أوروبى يعيش فى أوروبا . انك لم ترزأ
بعد بالحياة بين ناس لا يتصل إحساسهم الفنى بإحساسك
لقد كان مجرد حضورى فى قاعة كونسير « بلييل »
أو « كولون » يجعل بينى وبين كل فرد حاضر فرنى
أو روسى أو ألمانى صلة تكاد تكون صلة المواطن
بالمواطن . لقد كانت أيدينا تنطلق بالتصفيق لدى
دخول موسيقى مثل « فورتناجلر » فى شبه حركة
واحدة . كأن مرا كز الاحساس فىنا جميعاً متصلة
بسلك واحد . لقد كنا فى وطن ثقافى واحد . لقد
كانت تظلمنا أنا والفرنسى والروسى والألمانى والمجرى
والانجليزى سماء واحدة هى سماء الحضارة فى هذا
القرن . من أجل ذلك كنت اطالع كل ما كتب
عن عصبة الأمم وكلى أمل ، وما قيل عن « الدولية »
وانجاعاتها الانسانية وكلى رجاء . ثم إنى فوق ذلك
وبعد ذلك كنت أعيش . أعيش الحياتين . بل حياة

واحدة : إذ لم تكن بي حاجة إلى حياة ظاهرة وحياة باطنة . قد تسألنى أليس فى مصر طبقة من المستنيرين ؟ نعم فى مصر طبقة مستنيرة فيها كثيرون عاشوا فى أوروبا وعرفوا الثقافة الأوروبية ، وفيهم من يعرف الفن الأوروبى ويتكلم عن المصورين والتصوير ومن يتكلم حتى عن برامس وباخ وهاندل . ولكن النادر أن تجد بين هؤلاء من عرف ان الثقافة الحقيقية شىء والكلام فيها شىء آخر . وقليل من بين هؤلاء من أدرك ان الثقافة العقلية وحدها ليست كل الثقافة . وان الثقافة الكاملة شىء أوسع من ذلك بكثير . ان أكثر هؤلاء المتكلمين فى الموسيقى والتصوير والفنون يعرفونها برءوسهم ولا يدركونها بحواسهم . ان المطلوب للثقافة ليس مجرد المعرفة بل الاحساس والتذوق والتغذى بمختلف الفنون . ماقيمة الكلام عن يتهوفن إذا كانت أعماله لا تهز نفسك

هزاً . وما معنى الحديث في رافاييل أو مملنج أو
روبانس أو بوتيتشيللى إذا كانت صورهم لا تعمر
رؤوسنا ليل نهار وتحدث ألوانهم وأصباغهم في
نفوسنا الاحداث . الثقافة ليست كلاماً تملأ به
الرءوس والسكنها يقظة الملكات كلها والحواس . إذ
سامت بقولى هذا فلا أبلغ إذا قلت لك ان ليس في
مصر عدد أصابع اليدين من المثقفين ... م

13

12

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

إني الآن غارق في الأدب العربى . أريد أن
أدرس قضيته من أساسها . أريد أن أعيد النظر
في أمر اللغة العربية — لغتى — واكشف أسرارها
وأضع اصبعى على مواطن ضعفها وقوتها . هذا الوقت
هو خير وقت استطيع فيه أن أرى وأميز وأحسن
الحكم . فلي عينان قد طافتا — منذ أمد ليس بالبعيد —
بمختلف الآداب العالمية . ولقد نجحت فكرتى حقاً .
إنى اقرأ نصوص هذا الأدب فى عصوره المتعاقبة
بعين جديدة . عين عامرة بالصور ، حافلة بالمقارنات

وبنفس رحيمة عادلة صابرة : تلتمس العلل والأسباب
وتطيل التريث والبحث قبل أن تصدر الأحكام .
قبل كل شيء أحب أن أقول لك ان أولئك الذين
علمونا اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية
كانوا يجهلون لا معنى اللغة العربية وحدها بل
معنى اللغة على الاطلاق . إنك لن تجد مستنيراً في
مصر لا يقول لك ان اللغة العربية — للأسف —
قاصرة عن التعبير في شتى ضروب العلوم والفلسفة
والتفكير العالي . بل منهم من يقول انها ليست لغة
تفكير ، انما هي لغة بهرج وتبقيق . لماذا ؟ السبب
بسيط : هو ان النماذج التي وضعت في أيدينا ونحن
صغار للبلاغة في اللغة العربية كانت كتباً غثة المعنى
متكلفة المبني . لو كتب بها شخص اليوم لأثار سخرية
الناس . نعم . . . انهم يعلموننا في المدرسة لغة إذا
استعملناها في الحياة ضحك منا الناس ، منذا يستطيع

بعد انتهاء دراسته أن يكتب رسالة على نمط « عبد الحميد
الكاتب » أو مقالا أو بحثا أو تقريرا على طريقة
« الحريري » دون أن يتعرض لسخرية الساخرين ؟ !
ليس من اليسير أن أطلعك أو أترجم لك مثل هذا
الأسلوب « النموذجي » ! ولكنني أقول لك انه
أسلوب يستخدم اللغة استخدام الجوارى للعود في
محاسن الأنس والسكر بقصور هارون الرشيد.
أسلوب غايته قبل كل شيء أن يبهر السمع النائم
ويطرب الأذن المسترخية . لست أدري أيجوز أن
تجعل لغة من اللغات وسيلة لهو وأداة براعة
كفنون المغنين وألعاب الحواة أم ان اللغة أداة
يسيرة لنقل الأفكار النبيلة ؟ إنني أفهم أن يضرب
مثل هذا الأسلوب مثلا للضعف والسقم لا للسلامة
والبلاغة . فان التكلف أبرز عيوب الفن . كان « جويو »
يقول ان الرشاقة في فن الرقص هي اداء الحركة

الجمانية العسيرة دون تكلف يشعرك بما بذل فيها من
مجهود . تلك أولى خصائص الأسلوب السليم في كل
فن . حتى الحاوى الماهر هو ذلك الذى يخفى عن
الآعين مهارته ويحدث الأعاجيب فى جو من البساطة
والبراءة . لعل الكاتب الوحيد الذى ضربوه للطلاب
مثلا فصدقوا هو « ابن المقفع » فى ترجمته السكيلة
ودمئة . هذا كاتب تصنع فى أسلوبه هو الآخر
ولكن بخفة ومهارة . وطلاه وجمله ولكن بدوق
وكياسة . فلم يبد عليه سماجة التكلف ولا ثقل الصناعة .
انه ذلك الحاوى البارع . . . أو تلك الحسناء الذكية
التي تطلّى وجهها بالاصباغ ثم تمسح أثرها الصارخ ،
فتظهر وكأن نضارنها نضارة الأصل والفطرة . ان
« ابن المقفع » يجهد فى أسلوبه ليخفى أثر الجهد . انه
تلك الراقصة الرائعة التي تخفى حركاتها العسيرة فلا
تبدو لنا منها إلا تموجات رشيقة يسيرة . هذا الكاتب

هو على كل حال مثل طيب للصناعة في الكتابة .
 على انك إذا أردت أن تعرف حقاً جلال اللغة العربية
 في بساطتها وسيرها قدما نحو الغرض : فاقراها عند
 الفلاسفة والمؤرخين العرب . أولئك عندهم حقيقة
 ما يقولون . فهم لا يضيعون أوقاتهم وأوقاتنا في العبث
 اللفظي والطلاء السطحي . إنما هم يحدثوننا في شؤون
 فكرية واجتماعية وأخلاقية ودينية في لغة سهلة مستقيمة
 لا لعب فيها ولا لهو ولا ادعاء . إنى لأدهش كيف
 ان مؤلفين مثل ابن خلدون والطبري وابن رشد
 والغزالي لم يعرضوا علينا قط في دراساتهم للأدب
 العربي بالمدارس ؟ كيف نعرف لغة بدون أن نطالع
 فلاسفتها ومؤرخيها ؟ ان استطيع معرفة الفسك اللاتيني
 دون ان نقرأ سنيكا ومارك أوريل وتيتوس ليفيوس
 وكورنيليوس تاسيت ؟ ! لو انه عرضت علينا صفحة
 واحدة مع شرحها لكل فيلسوف بارز ومؤرخ مشهور

من فلاسفة العرب ومؤرخيهم لتغيير رأى أكثر
المستنيرين عندنا في اللغة العربية وقدرتها على التعبير
عن أدق الأفكار وأعلاها وأعمقها وأنبها .. أو ليس
بهذه اللغة نقل ابن رشد وابن سينا أعمق آراء فلاسفة
الآغريق إلى أوروبا المتعطشة للمعرفة ؟ أنتم معشر
الفرنسيين فعلتم ذلك في تدريس الأدب الفرنسي ..
مامن كتاب مدرسي صغر أو كبر لا يذكر فيه
نماذج من أسلوب « مونتاني » الفلسفي وأسلوب
« روسو » الاجتماعي و « بوسويه » الديني و « فولتير »
التاريخي .. بل حتى أسلوب « مولير » الفكاهي أحيانا
إلى حد التهريج . ذلك ان المدارس الفرنسية أدركت
ان تدريس اللغة يجب أن يشمل كل نواحي التعبير
بها ... أما قصر تعليمها على نماذج البلاغة اللفظية
الجوفاء فهو امتهان لكرامة اللغة وانتقاص من قدرتها
على الأداء . في العربية كاتب متعدد النواحي له

باع طويل في الجذ والهزل هو « الجـاحظ » . هذا
 أيضاً لم نقرأ له سطرأ في المدارس ... كل كاتب عربي
 بسيط الأسلوب نافع لنا في الحياة يقصونه عنا إقصاء
 بحجة انه غير بليغ .. ويأتون إلينا بالكاتب الذي لا ينفع
 في حياتنا إلا نموذجاً لاثارة السخرية .. حتى الشعر وهو
 مفخرة اللغة العربية . الشعر الذي كان يجب أن ترى
 فيه نفوسنا المتفتحة أول لون من ألوان الفن ... ماذا
 انتخبوا لنا منه ؟ قصائد المواعظ والحكم . . . هنالك
 حقاً نوع من الموعظة والحكمة يعرف الشاعر الحق كيف
 يلبسها ثوباً من الصور الحسية والذهنية ترفعها إلى مرتبة
 الفن العالي .. (كما فعل أبو العلاء والمتنبي والنابغة
 الذبياني في بعض قصائدهم) ولكن الفرز والتمييز
 والتخير في هذا الباب يحتاج إلى حاسة فنية لا يملكها
 القائمون بهذا العمل .. حتى الشعر الموسيقى والشعر
 التصويري الذي عرضوا علينا بعض نماذجه (في أعمال

البحتري وابن الرومي على الأخص) لم يكن من خير
آثارهما .. ليس كل شعر فناً عالياً لأنه يعظم أو يصور
أو يرسم ... فالشعر الحق هو شيء أبعد كثيراً من
مجرد إصابة الأهداف الظاهرة أو تحقيق الأغراض
المباشرة . بل ربما انحط شعر في عرف الفن العالي
لأنه اقتصر على صياغة حكمة أو تصوير منظر أو
إحداث جرس .. انما الشعر الحق قد يتوسل بهذه
الأشياء لبلوغ مأرب أسمي : هو الارتفاع بالناس
إلى سحابة لا تبلغ ، والرحيل بهم إلى عوالم لا تنظر .
هو أن يرهبهم من خلال كلماته البسيطة ووسائله البادية
أشياء لم تكن بادية ولا طافية في محيط ضمائرهم
الواعية . هو بالاختصار ذلك السحر الذي يوسع ذاتية
الناس فيرون أبعد مما ترى عيونهم ويسمعون أكثر
مما تسمع آذانهم ويعلمون أعمق مما تعلم عقولهم .. هذا
هو الشعر .. وهذا هو المقصود من كلمة « الشعر » في

اطلاقها على كافة الفنون . مامن فن عظيم بغير شعر .
أى بغير تلك المادة السحرية التى تجعل الناس يدركون
بالأثر الفنى ما لا يدركون بحواسهم وملكاتهم ...

لقد أثقلت عليك يا اندريه بهذا الحديث فى
موضوع لا يعنيك كثيراً . ولكن من غيرك أبتنه
كل خواطرى ... ؟ تحمل ... ؟

13

12

الاسكندرية في . . .

عزيرى اندريه :

إمعة فى فى بحوث الأءب العربى اللىوم بجمعنى
غير صالء للءءء فى شىء آءر . ولقد فرءت من
مسألة اللغة فاذا مشكلة آءرى تقوم أءمى . هى أن
الأءب العربى ذاته من ءىء هو ءلق فى بىءو لى
ناقص التسكرىن . . والسبب فى ذلك بسىءط أىضاً :
إذا تأملت الآءاب القءىمة كلها وءءت أنها قد
عاصرءها فنون كبرى . ءء مثلاً مصر القءىمة والءءء
والاغررق والرومان ء . . لقد كانت المعابء العظىمة
والتماثل الرائمة ءلىقة أن يعاصرءا آءب يضارعءا

في قوة البناء ودقة التركيب وروعة الفن : (الملاحم
والمثيل والقصص) . ولسكن الذي حدث في تاريخ
الادب العربي كان غير ذلك ، لقد نشأت لغة نضرة
زاهرة في بيئة قحلاء وسط الصحراء . لقد كان
أقصى ما عاصر لغة امرئ القيس أو لبيد أو زهير
من مظاهر الفنون الاخرى تلك المسوخ والنهاويل
لا الهة من الحجر . أطلقوا عليها الهبل الكبير
والهبل الصغير والعزى واللاتي الخ . . . لا أحسب
أحدا يجرؤ أن ينسبها إلى الفن في قليل أو كثير .
إنه حقاً لمن مفاخر اللغة العربية أن تبرز وحدها هذا
البروز بين الرمال كأنها عرار أو أقحوان . ولعل
الفضل في ذلك للشعر . فالشعر زهر قد ينبت في
الخلا . أما النثر فيحتاج في نموه إلى العمران . لكن
جاء العمران بعد ذلك بظهور الاسلام وتكونت
حضارة اسلامية واسعة الأرجاء . فأقيمت المساجد

الجميلة على انقراض الهياكل القديمة . وشيدت القصور
وملئت بالبدائع والطرائف . وتقدمت الصناعات
وازدهرت الفنون . وابتلعت المدينة الاسلامية في
جوفها كثيراً من المدنسات . ومع ذلك فان الأدب
العربي لم يحاول أن يزيد في قوالب نثره ، أو أن يسار
تلك الفنون المعاصرة ، حتى بدا للأجيال اللاحقة في
ذلك الفقر الظاهر . والواقع أن الأدب العربي
الانشائي لا يختال للأنظار إلا في ثوبين معروفين
« الرسائل » و « المقامات » . والمقامات أعمال قصصية
قصد بها سرد حكاية وتصوير أشخاص . ولكن
الاغراق في الوشى اللفظي والاحتفال بالوضع اللغوي
صرف ثم الكتاب عن التعمق في التحليل والافاضة
في السرد والاجادة في البناء . فالأدب العربي الانشائي
قد عني باللفظ أكثر مما يجب ولم يشأ أن يتزل عن
تكلفه الذي يعتبره فصاحة وبلاغة ، ليصور ما يجيش

في نفس الشعب من احساس ولا ما يهيجه من خيال .
وهنا حدث أمر عجيب . ان روح الشعب لا يقهر .
هذا الشعب في عصور الحضارة الاسلامية المختلفة
قد تعطش للون جديد من الأدب غير لون البداوة
الأولى . لون من الأدب مستمد من احساسه هو
بالحياة الجديدة المتطورة المتغيرة ... أدب جديد قائم
على فن مشابه ومسائر للفنون الزاهرة المعاصرة ، التي
يراها بعينه ويهم في مرامها بخياله ... فلما لم يشأ
أدباء الفصحى أن يمدوا الناس بحاجتهم . لجأ الناس
إلى أدباء من بينهم لا يملكون أداة اللغة ولا جمال
الشكل ولكن يملكون السليقة الفنية وروح
الخلق ... وهنا ظهر الأدب الشعبي ... فما ظهور
الأدب الشعبي أحياناً إلا علامة قصور أو تقصير من
الأدب الرسمي . أو صرخة احتجاج على جمود
الفصحاء ... هكذا ظهر القصص الشعبي في صورة

عنتره ومجنون ليلى وكثير عزة ... الخ ... وسارت
الحضارة الاسلامية فصار معها الأدب الخيالى الاجتماعى
الشعبى فاذا نحن أمام عمل فنى رائع هو « ألف ليلة
وليلة ». ثم نبت فى كل شعب من شعوب الاسلام
قصصه الذى يطبعه بطابع عصره . فكان فى مصر
قصة « أبو زيد الهلالي » و « سيف بن ذى يزن » و
« الظاهر بيبرس » الخ ... ومن الغريب أنك إذا تأملت
« التصميم » الفنى والبناء الروائى لهذا الأدب الشعبى
وجدته من حيث الفن لا اللغة هو السائر فى الطريق
الصحيح محاذياً تلك الفنون الجديدة التى قامت بقيام
الحضارة الجديدة . فلقد كان من المستغرب حقاً للباحث
أن يرى حضارة اسلامية عظيمة ذات فنون زاهرة
وعلم راقية ولا يجد فى أدبها أثراً لإنشائها مثل
« الشاهنامة » أو « الرامايانة » أو « الاللياذة » أو
« كليلة » و « دمنه » الخ ... حتى كادت تنهم العقلية

الاسلامية بعقمها . ولكن الأدب الشعبي الاسلامي
صحيح الوضع أمام التاريخ العلمى ، وأثبت ان الحضارة
الاسلامية سارت في مجراها الطبيعي مع هذا الفارق :
وهو انه في الحضارات الأخرى الهندية أو الفارسية
أو الاغريقية كان خاسة الشعراء والأدباء هم الخلقين
لتلك الآثار . أما في حضارة الاسلام فقد تخلى الخاسة
عن بعض هذه المهمة لعامة أدباء الشعب وشعرائه
ووقفوا بعيمين عن كل تغيير أو ابتكار .. حتى القرآن
ما حاولوا أن ينتفعوا به انتفاعا فنيا . لقد أتى القرآن
بجديد في فن الكتابة : لا اللغة وحدها .. بل القصص .
لقد استخدم الفن القصصى في التعبير عن المرامي
الدينية السامية . ولكن المدهش أن الأدب العربي لم
ير في القرآن إلا نموذجا لغويا .. ولم ير فيه النموذج
الفنى ... فلم يخطر له استلهام قصصه أو الاسترشاد
بها أو استغلالها استغلالا فنيا مستفيضا .. إن وحى

الأدب العربي لم يرد أن يتحرك .. لا إلى أعلى ولا إلى أسفل .. لا نحو القرآن ولا نحو الشعب .. من الانصاف أن أستثنى واحداً هو « الجاحظ » . إن هذا الكاتب شعر فيما يبدو بالغلطة . فسلك مسلكاً آخر .. ونزل إلى الشعب يستوحيه ، ويصور أسواقه وبخلاءه ولصوصه وتجاره وشرفاءه وخبشائه ... في أسلوب بسيط حتى يعد مثلاً طيباً للنثر التصويرى في عصور الحضارة والعمران ... وهو بعينه الأسلوب الذى أثار على الجاحظ المسكين نقد المتنطعين من أدباء عصره فرموه بالعامية والركاكة والابتذال ... وأريد أن أستثنى أيضاً بعض الجانِبِ الفنى لمقامات بدیع الزمان . فهو من حيث رسم أشخاصه وتصوير المجتمع فى عصره يكاد يعطينا أحياناً صوراً ناطقة على صغرها ... تذكرنى بصور « المنياتور » الفارسى . ولم يفسد هذا الاثر الفنى إلا أسلوبه اللغوى . فلو أنه

وضع بلغة الجاحظ في بخلائه لكان أدنى إلى السكال .
ولكن هذا الأثر لم يكتب فيما يظهر إلا لابراز
رصانه اللغة و ثراء اللفظ وبراعة السجع . أما الفن فلم
يخطر للكاتب على بال ... الواقع أن تباهى أدباء العربية
بالثروة اللفظية والمهارة اللغوية كاد يقتل النثر العربي
نفسه ، فلم ينقذه من هذا المصير ، كما قلت لك .
غير طائفة الفلاسفة وفقهاء الدين والمؤرخين ومن
شابههم من الباحثين الجادين . وإن مؤرخى الأدب
أو رواته على الخصوص كان لهم أعظم الفضل في تيسير
اللغة العربية وإلباسها حلة نضرة دون الالتجاء إلى التصنع
الممجوج : « الأغاني » ، « العقد الفريد » ، « نهاية
الأرب » ، « الأملى » ، « النوادر » ، « البيان
والتبيين » الخ ... على أننا بعد ذلك إذا طرحنا جانباً
أعمال مؤرخى الأدب ورواة أخباره ، على أهميتها
وسلسلة لغتها ، وأردنا أن نبحث عن فن أدبي يعد

في ذاته خلقا انشائيا فنيا لما وجدنا شيئا يضارع الأدب الشعبي في : ألف ليلة وليلة وعنترة ومجنون ليلى وأبي زيد الهلالي الخ. فهذه الآثار على الرغم من انعدام الروعة اللغوية فيها وضياع الجانب الشكلي اللفظي قد استطاعت أن تؤثر بمجرد فنها . ذلك ان القوة الخالقة في روح الشعب لم تضل لحظة عن طريقها إلى الخلق الفني . ومع ذلك فقد ظل الأدب الشعبي حتى اليوم غير معترف به في تاريخ الأدب العربي . بل إن أثرا خالدًا مثل « ألف ليلة » اعترفت به اليوم كل أمم العالم ... ونقلت قصصه إلى كل لغة ووضعت في كل يد ... حتى أيدي الأطفال ... (تذكرت الآن أن ولدك الصغير جانو أدهشني يوم قابلته أول مرة في كور بفوا فقصص على أقصوصة علاء الدين والمصباح على نحو آثار عجيبي) هذا الأثر الفني المشرف لم يعترف به أديب عربي اعترافا صريحًا . لقد انطوت قرون

وما يزال هذا السد قائماً كأنه سد الصين بين النهر
العربي بسجعه وبلاغته المصطنعة وبين خيال الشعب
ورغباته وآماله .. لو أن أدباء اللغة الفصحى هدموا
هذا السد من قديم وتزلوا عن بعض جمودهم وسايروا
تقدم الفنون في زمانهم وعبروا عن مطالب عصرهم
وشعبهم لكان الأدب العربي اليوم في مقدمة
الآداب العالمية . فليس الروس هم أساتذة القصة
ولا الانجليز ولا الفرنسيون ... بل نحن بما لدينا من
قرآن عرف القصص . وما خلقنا في مجتمعنا من
أشياء عنثرة وألف ليلة وليلة وما وضعنا في لغتنا من
مقامات تعد أساساً لفن الأقصوصة . لأحق من يزعم
بأننا أساتذة هذا الفن الروائي .. لكن واأسفاه ..
هم أولئك الجامدون الذين وقفوا حيث هم وتركوا
لغيرهم تلك الكنوز يغترفون منها ويربون عليها .
إن هذا الذي أسميه سداً بين الجامدين والمجددين ..

أوهذا السد بين الأموات والاحياء كان دائماً موجوداً
في تاريخ كل لغة ... ألا تذكر « دانتى » وكيف
حطم هذا السد يوم أصر على أن يكتب « الكوميديا
الالهية » لا باللاتينية لغة العلم —اء في عصره بل
بالايطالية لغة الناس في زمانه .. و « مسترال » يوم
وضع ملحمة الشعرية الرائعة « ميراي » بلغة الريف
الفرنسى ، وهى لغة لم أستطع فهمها مما أجبأتى إلى قراءة
ملحمته فى ترجمتها الفرنسية العصرية .. ومع ذلك لم
تحل لغة الريف دون تسنم ذلك الشاعر قمة المجد
واعباره من أكبر شعراء فرنسا والعالم ، لأن اللغة
لم تكن يوماً حائلاً فى أوروبا دون تقدير الأثر الفنى
فى ذاته . أما عندنا فهى حائل دون مجرد الاقتراب
منه .. كأنما هوشى مزر بمقام فضلاء الأدباء . لهذا
لم تجد أدبياً عربياً جرؤ على النظر فى آثارنا الشعبية
الرائعة من حيث هى فن وخالق طارحاً مسألة لغتها

جانبا متغاضيا عما في هذه اللغة من اسفاف وقصور
وعدم كفاية . لقد رضى الفضلاء أن ينظروا في تاريخ
الجبرتي وهو تقريبا باللغة العامية . ولم يرضوا أن ينظروا
في ألف ليلة وليلة وهو أسلم لغة في نظري من كتاب
الجبرتي . لكن السبب عندهم : أن ذلك تاريخ وهذا
أدب . والأدب في عرفهم مرادف اللغة .. فاللغة .. اللغة
هي لدينا شبح الأدياء المخيف . نحن عبيد ذلك الميراث
من الألفاظ والعبارات والتراكيب التي وجدناها
داخل صناديق المعاجم العتيقة وكتب اللغة القديمة ..
أنتا ننظر فيها بحرص خشية أن ينفذ إليها نور هذا
العصر أو نسيم هذا الزمن فيعيبث بنسيج عنكبوتها
المقدس ! يا شبح القدماء المروع ! . يا شبح الأموات
الذي يرهب كل من يعتبر اللغة كائناتيا يتغير ويتطور ،
وكل من يحاول التصرف فيها طبقا لمطالب العصر
وروح الزمن .. ان اعتصام الموتى ومن معهم خلف

ذلك السد الهائل الذي يقصيمهم عن عالم الأحياء
بترعاته الجديدة وأذواقه الخاصة ومقاييسه الشخصية
كان هو السبب في قيام حركات التجديد والإصلاح
والنهضة رافعة معاولها في وجه ذلك السد ... كل
عملية تجديد وبعث ليست سوى تحطيم السد بين عالم
الأموات وعالم الأحياء . أعتقد أن « الجاحظ »
في مسألة اللغة والتصوير الشعبي وقف بعض الشيء
موقف « دانتي » . وحاول أن يحطم ذلك السد قليلا .
ولو أن الأمور سارت بعد ذلك سيرها الطبيعي طبقا
لشريعة التطور لتقدمت اللغة العربية — منذ
زمن بعيد . ولسكن الغريب أن نجد كاتباً في هذا
العصر مثل « المويلحي » عندما أراد أن يصور الشعب
المصري — وهو اتجاه طيب — في كتابه « عيسى بن
هشام » لم يستعمل لغة « الجاحظ » ولا حتى لغة
« ابن المقفع » بل استخدم لغة الحريري وبديع الزمان !

بماذا نفسر ذلك ؟ إلا أن يكون هذا هو الاختيار
الطبيعي الجدير بعصر نكاس وانحطاط ! على أن البوادر
تدل اليوم على نزعة جديدة في أسلوب الكتابة ...
وإن كانت القوالب الأدبية لم تتنوع كثيراً .. ولعل
باب « المقلّة » هو أبرزها مكاناً وأسرعها سيراً في
طريق التطور والتجديد ... غير أن الشعور العام
بضرورة التنويع في الأساليب والأبواب يسرى
الآن في الطبقات المستنيرة ...

الاسكندرية ق ✓

عزيزى اندريه :

إني أضع دائماً نصب عيني هذه المصادر الثلاثة
أستلهمها فنياً : القرآن ، وألف ليلة وليلة ، والشعب
أو المجتمع .. ولكن الأسلوب .. الأسلوب . لظالما
شغلتك معى بالحديث عن الأسلوب الفنى الذى أبحث
عنه . أين أجده أخيراً ؟ .. ومع ذلك فى وهى أنه قد
يكون على مقربة منى دون ان أشعر . لم لا يكون هو
ذلك « الحوار » الذى أنفقت فى ممارسته وقتاً طويلاً ؟
انه « القالب » الذى بدأت معالجته — كما تعلم —
قبل نزوحى إلى أوروبا ، ومن أجله انصرفت حتى عن

الكتابة السياسية « المحترمة » في نظر أهل بلادى...
لا يمكن أن يكون هذا الوقت والجهد قد أنفقا
عبثاً... لم لا تقول أن « الحوار » هو أسلوبى الذى
أحرق بحثاً عنه ؟ لقد كان هو كما تعلم الناحية التى
استرعت نظر من اطلع على مخطوطاتى فى فرنسا
من أدباء وفنانين . آه... لو أمكن ادخال « الحوار »
قالباً أدبياً وباباً مرعياً فى الأدب العربى ... ؟

حاشيه - أتدرى يا أندريه لماذا لا أتوقع نجاحاً ؟
لأن التمثيل فى بلادنا أو « التشخيص » هو حتى
اليوم بمعزل عن « الأدب » . فالرواية التمثيلية عندنا
شئ، يمثل ولا يقرأ . وربما كانت الأدب عنده...
التمثيلية لدينا لا يمكن أن تقرأ ، لأنها قائمة على
مجرد الحوادث المثيرة والحركات والمفاجآت... ولا

تعرف بعد الحوار القائم على دعائم الفكر والأدب
والفلسفة ... ليسكن إذا وجد هذا الحوار الأدبي
الفكري الصالح للمطالعة ... فماذا ترى يكون موقف
الأدب العربي منه ... ؟

14

15

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

لايزعجك سيل خطاباتي المتدفق عليك . فاني
أذكر قولك إن رسائلي تنفعك أحيانا « لتلف »
فيها فرشاة أسنانك وأدوات حلاقتك وأزرار قميصك
ومختلف حوائجك الصغيرة في أسفارك بين ليل
وباريس . فما يضيرك إذن استلام الخطابات الكثيرة ؟
مادمت لا تجيب ولا تتكلف شيئا . لعل لكتابتى
إليك اليوم سببا واضحا معقولا : فالיום هو عيدنا
الكبير والموسيقى تغزف بالأبواب طالبة ما نسميه
« العيديدية » . والأراجيح منصوبة . والصبيان

والأطفال يتصايحون وينفخون في المزامير الصغيرة
بملايسهم الحمراء الفاقعة والصفراء والخضراء . والجميع
يقول بعضهم لبعض (كل عام وأنتم بخير) فلماذا
لا أقول لك أنت أيضاً هذه الجملة ...

ثم هنالك سبب آخر هو أننا في هذا العيد
نضحى بخروف ، ولقد أكلنا ياسيدى اليوم ضلع
خروف محمر ، ووالله لقد تذكريك . ولعلك أحسست
اللحم المحمر في بطنك ، وقد أكلته باسمك كما أكلت
أنت باسمي في ليل (دسته) المحار الأخضر الذى
أحبه . لكن وا أسفاه ! كان ذلك فيما مضى . أما
اليوم فأنا أحس بيطنى (الزفت والقطران) . فماذا
نراك الآن تأكل باسمي ؟ !

لست أدري لماذا أتذكر الآن كثيراً موقفي
معك في باريس قبيل سفرك إلى ليل . فقد كان بخلي
مخجلاً وقسوتى شديدة : إذ رفضت إقراضك كل

ما كنت محتاجا إليه ، وأنا على علم تام بأنى لن أدعك
حتى أقرضك ماشئت . ولكنى أردت تعذيبك ،
فجعلت ألوح لك بالمحفظة ، وجعلتك تتبعنى ذليلا فى
كل مكان ، حتى قهوة (مونمارتر) إنها كانت ليلة
عجيبة . أتذكرها يا أندريه ؟ لقد قلت لك : لا نقود إلا
بعد سهرة ممتعة . فقد تكون هى سهرة الوداع ...
(وقد كانت) .. وعهدت إليك بمهمة اقتناص ظيبتين ،
لما لك من خبرة فى هذه الأمور . فجلسنا فى ذلك
المشرب المائج بالطباء إلى قبيل الفجر نتجاذب أطراف
الفلسفة والفنون . وجرفنا الحديث فى لبنيتز وكانت
وديكرت وبرجسون ونظرية الجمال فى الفلسفتين
الالمانية والفرنسية .. فنسينا ما كنا قد جئنا لأجله
وأغلقت المشارب وأطفئت الأنوار ، فقمنا خائبين
نتعثر فى أذيال عاهرات الحى بائرات آخر الليل . ونحن
نسأل لنفسينا السلامة من شر (الأباش) الأوباش

وجأة إذا بك تشعر كأن ذراعاً تضرب في ظهرك ،
فالتفت مذعوراً فإذا هي عاهر شوهاء تستوقفك ،
نخلصت نفسك بعد جهد وقد هدأ روعك بعض
الشيء . وقلت لى : (كنت أحسبها لصاً) ! وفاتت
مواعيد المترو ووقفت المواصلات ، فلم يكن بد من
تمضية مابقى من الليل فى حجرتى القريبة بشوارع
روشنوار . وهى حجر فأر . وكلها ليست غير سرير
وتحت سرير . فقسمناهما بيننا بالقرعة . فكان حظك
أن تحتل أنت الأرض تحت السرير . وما كدت أتمدد
على فراشى حتى صحت بى أن لانوم يرجى لى إلا إذا
ظفرت أنت بمبلغ القرض قبل النوم . فمنعنى النعاس
من مناقشتك الحساب والاستمرار فى تعذيبك .
فدفعت إليك المبلغ وأنا نصف يقظان . ونمت
واستغرقت فى النوم فلم أنتبه إلا بعض انتباه إليك
وأنت تحاول إصلاح جرس « المنبه » المكسور

ليوقظك في منتصف السابعة . ولست أدري بعد ذلك
هل طاولع المنبه الضيف الكريم فأيقظه في الموعد
المطلوب ...؟ كل عامي أنك استيقظت مبكراً مثل
العفريت وملأت الحجرة جلبة وضجيجاً . نارة تفتح
الأدراج بعنف للبحث عن منشفة وجه نظيفة ،
ونارة تشد مسن آلة الخلاقة ، وقد وضعت فيها
سلاحاً جديداً هو الوحيد الذي كنت أدخره لأيام
ترهقي . ونارة تزيل الغبار عن ثيابك وقبعتك بصوت
كالرعد ... وأخيراً ... سمعت باب الحجرة يفتح
ويغلق ... ثم ... لم أرك بعدئذ قط ...

١٥ ١٦

الاسكندرية في ...

عزيزى اندريه :

أهنتك أولا بعودتك إلى باريس . ولو ان خبر
مرض جرمين أحزننى غاية الحزن . وإنى لأوصيك
أن تتبع الحيطه فى علاجها وأن تمنى بها العناية كلها
مهما يكلفك ذلك من نفقات ...

إب رسائلك يا أندريه تفتح أمامى أبواب
موضوعات ، إذا طرقتها فلن أستطيع الخروج منها
قبل أن أملاً صفحات . جاء فى خطابك السابق كلام
طويل عن نفسى وصفائها وعدم صفائها . أمر لم أرد
عليك فيه بنعم أو بلا . على انى حسبت انى أجبت

عنه في موضع من المواضع . أو ربما كانت إجابتي في شيء آخر . إن مصيبتى هي في عجزى عن إخراج ما في نفسى كما تصورته أول مرة . إن الفكرة لتتكون في نفسى ، وتنمو وتمتد وتتخذ شكلا منتظما في رأسى ، بل إنى لا أنفق أياما فى بناء الأشخاص فى مخيلتى ، وترديد ما يقولون من كلام وما يتحاورون به من حوار ، ولا يبقى إلا أن أمسك بالقلم لأضع على الورق كل هذه الحياة الزاخرة النابضة ، فاذا . . . واأسفاه . شيء آخر باهت بارد كالخثمان الهامد هو الذى يخرج . عمل واحد استطاع أن ينجو من هذه النهاية : عمل دفعتنى نفسى إلى كتابته ، دون أن أستجمع فى رأسى شيئا من تفاصيله أو أستحضر فى خاطرى دقائقه وأجزائه . . . ومن الغريب أن الأشخاص تكونت وتلونت وكأنها تخلق وجودها بذاتها . وسارت القصة بأشخاصها وبى إلى حيث

لا أدري . إلى أن أخبرني الأشخاص أنفسهم بالنهاية
المحتومة التي لابد لها أن تنتهى إليها ...

لماذا أكتب إليك كل هذا الهراء ؟ أنت الذى
برهن لى فى فترات على قلة اكترائه بما أصنع وبسخريته
من آلامى وقلقى النفسى وشكوكى وأزمائى !
لظالما حرصت مع ذلك على إخفاء أغلب هذه الأشياء
عنك . ولا تغضب على . لقد شعرت فى يوم من
الأيام أن صداقتنا لا تركز على التشابه ولا الاتفاق
ولا الاتحاد . لقد كنا طرفى نقيض . لم يكن لى حتى
حق الافضاء إليك بما يملأ كل كيانى الروحى .
أتدري ما هو هذا الشيء الذى كان يملأ كل كيانى
الروحى ؟ هو حى الخلق الفنى . لقد كنت أخشى
استهزاءك بهذا الشيء المقدس عندى . إني ما كنت
أطلعك إلا على ما أطيق تعريضه لسخريتك . انك
ما كنت تستطيع أن تفهم ما كنت أنا فيه وقتذاك .

لقد كنت أنت رجل « واقع » أكثر مما ينبغي
« لشاعر » ... هل كان في مقدورك فهم تصرفاتي
الجنونية في ذلك الحين ؟ تصور اني قضيت شهوراً
أجهد ليل نهار في عمل أدبي جديد استغرق هو الآخر
مئات الصفحات . ولم أفطن لنفسي إلا يوم جاءني
تلك البرقية تدعوني إلى العودة إلى بلادي . كان في
البرقية هذه العبارة : « احضر بأول مركب . تعيينك
تقرر » . وتسلمت بعدئذ نقوداً للسفر وخطاباً يوضح
لي فيه إمكان شغلي وظيفته بالنيابة العمومية المختلطة .
عندئذ شعرت بما يشعر به ملاك في السحب وهو
يهوى إلى الأرض ! أنا ؟ أنا الذي يعيش في سماء
الفن يفكرون له في وظيفة من الوظائف ! هؤلاء
الناس قد جنوا من غير شك ! كيف يخطر على بالهم
أن يوظفوا ملاكاً من ملائكة السماء ! وأعدت النظر
في خطاب أبي الذي يقول فيه : أنه لا يرى حتى ذلك

الوقت في بلادنا شخصاً انفراد بحرفة الأدب دون أن يكون له عمل آخر هو عماد حياته وقوام عيشه ... وقال : « انه لا يصح القياس مطلقاً بما هو حاصل في أوروبا . فان الوقت لم يحن بعد في بلادنا لأن يضحى أحد بمستقبله في سبيل الأدب مثل هذه التضحية التي لا تدرك البلاد قيمتها ولا تشعر بها ولا بصاحبها » لعل في هذا الكلام صواباً . ولعلى طلبت إلى أهلى أكثر مما تحمله الطبيعة الأتوية . واردتهم أبطال قصص يأخذون الحياة كما أتخيلها أنا . هنا فقط تذكرت لأول مرة مسألة « أكل العيش » نعم ، ينبغي أن أكسب لقمتى على الأقل . فأنا مخلوق يأكل ويشرب . ولم يغب عن والدى كل ما يحتمل صدوره منى فنص في خطابه : « لن أنفق عليك ملياً واحداً بعد الآن إذا أخذت المال المرسل للسفر فصرفته في غير وجهته ولم تحضر ، وضاعت الوظيفة

بسببك » ما العمل ؟ ومخطوطاتي الأديبة لم تتم .
إني في حاجة إلى عامين آخرين في هذا الجو الفني
لأن كل عملي . لقد تغلبت إلى حد ما على صعوبات
الخلق والتكوين . ولكن هناك صعوبة الأسلوب .
إني أكتب الفرنسية . فلا بد لي من امتلاك ناصية
الأسلوب الفرنسي . وخاصة ذلك الأسلوب الحديث
الذي يشبه موسيقى (سترافنسكي) الحديثة في تعدد
ألوان عباراتها وبريقها الخاطف بالصور ومفرقاتها
المدوية بغريب المعاني ، كأنها سواريز الأعياد
والكرنفالات . لا بد لي من المسكت بياريس عامين
آخرين . كيف السبيل إلى ذلك ؟ هل يستطيع
أندريه أن يقاسمني نصف نقوده ، ونعيش في
حجرة (منسارد) كحجرة إيفان ، ونأكل كل
الكلاب من أجل (تخريفة) لتوفيق الحكيم !!
هذا ما كان أندريه لاشك قائله : اطمئن يا أندريه .

لم يخطر ببالى قط خاطر كهذا . ربما كنت قد فكرت لحظة في البحث عن عمل بباريس ، ولعلى فكرت فى الألتجاء إليك لتجدلى مكانا صغيراً فى أحد المصانع . ولكنى طردت من رأسى هذه الفكرة على عجل . فأنا أعلم صعوبة الحصول على عمل حتى للفرنسى فى زمن كثر فيه العمال العاطلون . وإن وجد العمل فإن نفسى ليشق عليها مزاحمة الفرنسى فى بلاده على انتزاع اللقمة من فيه . وأخيراً رأيت كما تعلم أن الأولى بى الاصغاء إلى نصيح مسيو هاب وترك الكتابة بالفرنسية . ووضع عملى من جديد فى لغتى ولغة بلادى التى لا زمتنى منذ الصغر . فأنا فى الحقيقة لا أريد مطلقاً أن أكون مثل أولئك (اللقطاء) من الأجانب الذين يلجأون إلى الفرنسية لأنهم لا يملكون لغة قومية عريقة ... إنما هو الأصرار العنيف على أن أنتزع من باريس ما يقنعنى بأنى

حقاً قد أصبت من الأدب والفن شيئاً ... وما يقنع
أهلى المساكين بأنى لم أضع حياتى سدى ... لكأنى
أردت من باريس شهادة أعود بها فى موكب زملائى
من دكاترة الحقوق الراجعين بألقابهم العلمية الظافرة ..
ولكن باريس خذلتنى .. وأفهمتنى أن الخلق الفنى
شئ آخر .. وإن الطريق إلى الفن طويل وعمر ..

١٦

١٥

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه :

أمس فقط طالعت رسالة قديمة منك ، حينما
كنت فى « ليل » ، فاذا أنت تصفنى بأنى ذو قلب
طيب صاف . بل أكثر من ذلك : قلت انى من
« اولئك الأصدقاء النادرين فى الصداقة » . وتلك
كلماتك بنصها . أتذكر الآن ماقلت ؟ لقد أخبرتك
ان هنالك أشياء أو على الأقل شيئاً واحداً لا أجرو
على مصارحتك به ، لأننى لا أطيق أن تتناوله
بسخريتك . شىء كنت أقدمه ، كما قلت لك ،
بكل مااستطيعه قلب شاب طائش . لم يكن الحب ،

يا صديق : في باريس بالقوة التي مخرجني عن التوازن .
 إنما الذي أخرجني عن طوري هو حب الأدب .
 وحلت المطاعم الأدبية عندي محل المطاعم العاطفية
 ولكل حب « عذال » كما نرى نحن أهل الشرق .
 وقد كنت أنت عندي « عاذل » الأدب . ترميني
 بالخيال والجنون بحجة ردي إلى حظيرة العقل والواقع .
 لذلك ما كان ينبغي لي أن أطلعك على جنوني الأدبي
 ومطامعي الأدبية إلا بمقدار . فهل تراني راوغتك
 أو أخفيت عنك شيئاً غير هذا الشيء ؟ ومع ذلك ،
 دعنا من كل هذا . إنها باريس . إنها كانت باريس .
 آه يا عزيزي اندريه . إنها عندي كانت حلالاً . وكل
 تصرفاتي فيها إنما هي من قبيل تصرفات الأحلام !
 ما كنت أسير بمنطق العقل قط . ولكن اعرفني
 الآن . . . هاهنا . . وأنا هادي . وأنا في اليقظة .
 وبعد ؟ فلماذا تشاء أن تحدد طبعي وشخصيتي الآن ؟

ألم أقل لك مرارا أني شخص غير مفهوم الآن حتى
لنفسى ! على أنى اعتقد أنى خلقت للخير لا للشر .
وإذا نفذ إلى الشر فمنكم انتم يا أصدقائى ومعارفى .
اندرية ، ما هذا الانتقباض والا ككتاب فى آخر
رسالتك ؟ إنك تذكرنى بتوفيق الحكيم فى إحدى
أزماته القلبية والفكرية بباريس ! ولا عجب لمثله
إذ يكتب هناك وينقبض على الدوام ، فلقد كان
تعبا حقا . خائبا فاشلا فى كل نوع مارسه من أنواع
الحياة ، خاب فى الجامعة ، وخاب فى الحب ، وخاب فى
الأدب ، لم يظفر قط بانتصار فى شىء ما . ذلك
الانتصار اللازم للشباب كى ينتعش ، لزوم الامطار
للأزهار ! لقد صفعه الحب على الخد الأيمن . ولطمه
الادب على الخد الأيسر . ثم وقع أخيرا ذليلا على
أرض العذاب النفسى إذ تذكر انه مازال يعيش من
مال أهله . فهو ليس حرا حتى فى الفشل . وليس له

الحق حتى في حرية الرضا بالشقاء . ولكن انت
يا اندريه ؟ ما الذي يقبض نفسك ويملؤك اكتئاباً ؟
لعله منظر الخريف الكئيب حولك وتساقط الاوراق
الصفراء . ان قلب الشاعر « مقياس حرارة » يتأثر
أحيانا بمظاهر الطبيعة ، فيبكي لبسائها ، دون سبب
آخر يدعوه إلى البكاء . لم يتح لي في لحظة من لحظات
حياتي أن أحزن لحزن الطبيعة أو أبسم لابتسامها .
فان ما عندي من أزمات داخلية شغل قلبي دائماً عن
الطبيعة . ان عيني مصوبتان دائماً إلى أعماق قلبي !
آه لو نزع عني قليلاً هذا « الجراب » المملوء بالارزاء !
يسدولي يا اندريه اني إذ أرفع بصري إلى الحياة
الخارجية وأنسى نفسي الداخلية ، يعود الى الصفاء
ويشرق وجهي بروح الفكاهة والمرح . انني أستطيع
أن أكون أكثر الناس مرحاً ودعابة وضحكا .
فأنا أملك هذه الروح الفكاهية أحيانا . ولكنني

لا أجروا على الابتسام طويلا . لا تحسب يا اندريه
ان أسباب كآبى وضعف ثقتى بنفسى قد زالت
الآن . على النقيض . ومع ذلك فها أنت ذا تشمر
بتغيير فى حالتى النفسية . الواقع انى تغيرت . فانا
هادىء ، صاف ، مطمئن ، فلا حمى ولا حرارة ولا
حماسة . . ولا شىء يهزنى من تلك الأشياء . ربما
كان هذا لأنى لم أعد أطمع بعد فى شىء . فانا أسير
فى يد الزمن كما يريد لا كما أريد .

معذرة إذا كنت أتجنب الكلام فى انقباضك
أنت ، فانا أحب أن تعلم انى لا أعيره أهمية ولا التفانا
وانى لاراه غمامة سوداء من غمام الخريف . إن
ثقتى فىك وفى قوتك وفى نجاحك فى الحياة لعظيمة .
وختاما أنصح لك أن تصحح عقيدتك فى مرة
أخرى . . .

طنطا في . . .

عزيزى أندريه :

أهنتك « بالنويل » وبالعام الجديد من مدينة
« طنطا » ، فقد عينت وكيلا للنيابة بهذه المدينة
انها عاصمة إقليم يعد أكبر أقاليم القطر المصرى .
لك أن تفخر إذن بصديقك بعض الفخر ! لن أمضى
في الكتابة لأننى غير متتبع ما تفعل الآن . فقد
انقطعت بيننا السلسلة : وأخشى أن تكون غير مستعد
لانفاق بعض الوقت فى مطالعتى

إنى مطمئن كما ترى بعض الاطمئنان . فالعمل
فى القضاء قد قضى على كثير من هواجسى الأولى

إني أبت الآن في حياة الناس ، وأطلب رؤوس الناس .
فيجب على الأقل أن يكون لي رأس يدري ما يصنع .
ومع ذلك . كلا . . است في الاطمئنان الذي
تظن . اكتب إليّ . اكتب إليّ يا أندريه كما كنت
تصنع من قبل . انك لاتدري خطورة سكوتك . . .

17

16

طنطا في . . .

عزيزى اندريه :

رسالة منك ... أخيراً ؟ ! آه صدق من قال ،
وأنت نفسك القائل ، أن لا يجب أن آخذك أحياناً
على سبيل الجد . لو علمت كيف أقت الدنيا فى نفسى
وأقعدتها لسكوتك . وأخيراً ها أنت ذا تتكلم فآراً
باسمك تلك البسمة الساخرة لتقول لى فى هدوء وبساطة :
« لماذا كل هذه الأهمية التى تريد أن تعطىها لسكوتى ! »
يا لله ! بماذا أجيب ؟ لاشئ . ان الحق لاشك
فى جانبك .

والآن فلنتحدث . تقول انك لانتكتب الى

لأنك الآن تعيش بلا تفكير . عجباً ، أو لا يمكن
أن تكتب إلى بغير أن تفكر . أحقا ان اتصالنا
الكتابي له عندك كل هذا الاعتبار ! أترأه قد سلم
من عبثك وهزلك ؟ وما عساك تقول إذا أخبرتك
اني الآن أبعد منك شوطا في هذا السبيل . عبثا
تحاول اليوم أن تتعرف في محب الأدب والفن
والتفكير . كلمات كانت هي كل حياتي منذ سنوات
وإن شئت فقل ... وجودي . تقول ان ليس لديك
الوقت الآن للمطالعة والتفكير . فان الحياة قد
جرفتلك في خضمها . هذا حسن . أما أنا : فحي إن
وجدت الوقت فلست واجداً الجو ولا المحيط ولا البيئة
ولا المناسبة . كل ما يكتنفني اليوم من مناظر وجماد
وإنسان لا يثير في شيئاً مما يرفع النفس فوق ذاتيتها .
فكل ما حولي هو مما يهبط بالنفس أدنى من ذاتيتها .
إني أعيش في جو الجريمة . وأحيا في عالم الفرائز

الدنيا . إني مع القبح الآدمي ، المادي والمعنوي ،
La Laideur !.. La Laideur !
ليل نهار ووجها لوجه !
أهذه هي الحقيقة ؟ أهذا هو عالم الواقع الذي كان ينبغي
أن اهبط إليه ؟ ! لعلك تريد أن تسألني متعجبا : كيف
أنت كوكيل نيابة ؟ « لأنك مازلت تعتبرني الشخص
الفارق في الخيال . ولم تستطع قط أن تصحح من
رأسك تلك الصورة . وا أسفاه ! .. لو علمت كيف
تخطم اليوم هذا التمثال ! الأدب والتفكير لم يبق
معى منهما شيء . تقول في آخر رسالتك انك بدأت
مع ذلك تطالع « تاريخ الفلسفة » و « أرسطو » .
واهاً لنفسى وما وصلت إليه ! لكم كنت أود لو
أظل طول حياتي في تاريخ الفلسفة . أي جمال فكري
تحررنا إياه الحياة لتقذف بنا وسط هذه الجثث
والأشلاء ! لـسكنك أردت لي يوماً أن أواجه عالم
الواقع . فهالك ما أردت . ها أنذا في عالم الجثث

والجيف ! ، أنا الخيال الذى لا يعرف من الانسان
إلا ما فى الكتب (الفلسفية أيضاً) ، أقف الآن
فى كل يوم على عمليات تشرح جثة الانسان ! أنا الذى
اعتقد فى نفسه طويلا رقة الحس إلى حد الارتعاد
من منظر اصبع تجرح ، مما صرفنى يوماً عن التفكير
إطلاقاً فى دراسة الطب ، أمر الآن طبيب المركز
بتقطيع أوصال الجثث بالشرط فى حضرتى لأُنظر
إلى تجاوزيف الصدر والقلب والأعضاء . أنا الشاعر
مرهف الشعور ، أطلب وأشهد الجزر والتقطيع
ولا أرتعد . أنا الذى كان يحسب الانسان ، كما صورته
الكتب وتخيله الشعر ... لقد فهمت الآن انى حقيقة
كنت طفلاً إذ كنت أجهل من أى شىء تتركب
نحن . ولكنى من جهة أخرى فهمت أيضاً كلمة
« جوته » : « ان العلماء يزعمون انهم فهموا الانسان
وقد نزع عنه أئمن شىء فيه ، بل كل شىء فيه ...

(ربما قصد الروح وحياة الحواس) ! . من المستحيل
على من لم يحضر التشرح قط أن يدرك معنى كلمة
« جوته » على حقيقتها . لقد أفادني التشرح في شيء :
لقد خرجت منه وأنا أشد إيماناً بالروحية من قبل ،
وأقوى إيماناً كذلك بأنني رجل يستطيع أحياناً في
سبيل حب المعرفة أن يكون غليظ الكبد فاقد
الشعور . . وبأنني رجل يدرك أيضاً قيمة الحواس
المادية في الانسان ... أجل يا اندريه . درس التشرح
ثبت إيماني بالروحية والمادية معاً في كيان الانسان .
وجعلني أتأمل مرة أخرى وأعيد النظر من جديد في
قضية الأدب . وأتساءل ما رسالة الأدب إلى
الناس ؟ .. أهو نصره الروح أم نصره المادة ؟ لقد
اعتاد المفكرون تحقير المادة للرفع من شأن الروح .
ولكن أليس للمادة صوفيتها هي أيضاً ؟ ! ان العين
الغشوى بمنظر جميل ، والأنف السكران بشذا

عاطر : والفم الهائى بمذاق لذيد .. وكل حواسنا التى
تصلنا بعالم المادة لقديرة أحيانا أن ترفعنا إلى سعادة
شبه روحية. كلما تنبهت هذه الحواس وتيقظت وتدربت
وعرفت كيف تستخلص من المادة أجمل ما فيها ..
إن حواسنا المادية هى أحيانا الجسر الذى نبلى به عالم
الروح . هنا أستطيع أن أقول لك أن الأدب العربى
على ضعفه البنائى وفقره فى القوالب الفنية : كان غنيا
فى مراميه واتجاهاته . فهو لم يطرح من حسابه
الإشادة بالسعادة التى تبعثها الحواس المادية : إلى جانب
إشادته بالمتعة الذهنية التى تصدر عن قوانا المفكرة .
فى أغلب كتب الأدب العربى نجد فصولا طوالا
عن مباحج الأكل والشرب والطعام والخمر والمسك
والريحان ومتع الملابس وحتى متع الجسد أو ما يسمونه
« الباه » .. كل ذلك يسجلونه بعناية لا تقل عن
عنايتهم بالفصول الأخرى التى يدونون فيها لذائذ
العقل وطرائف البيان . وهم يكتبون وينظمون فى

موضوعات حسية مما نسميها شائكة بصراحة تامة .
لأن «الفضيلة» عندكم سلوك ومعاملة ورجولة وشهامة
لا إنكار لمطالب الحواس ولا إغفال لقوانين الطبيعة .
ذلك في نظري دليل الحيوية . وإني لم أدرك معنى
«الحيوية» على نحو عميق إلا يوم حضرت (التشريح)
عند ذاك بدأت أرى أن رسالة الادب ليست نصرة
الروح على المادة أو نصرة المادة على الروح . إنما
رسالته إقرار التوازن بينهما باتناء هذه (الحيوية)
في كل منها لأن (الإنسان الحي) حقاً هو ذلك
الكان الذي تيقظت فيه كل حاسة وملكة . مادية
أو روحية . وتكونت وتهذبت حتى استطاعت أن
تحصل له وتؤخر أجل ما في الوجود من عناصر
السعادة الروحية والمادية .. أعتقد أن تلك غاية البشرية
كلها منذ القدم : ترى أثرها في الوثنية (مصر القديمة
والهند والافريقي والرومان) ثم في الاسرائيلية

والاسلام .. ولم يشذ عنها إلا عصر الرهينة المسيحية
في القرون الوسطى حيث طغت فكرة تضحية الجسد
من أجل الروح . فأهانوا المادة .. تلك الالهانة التي
ما زالت لاحقة بها حتى اليوم . وخلطوا الفضيلة
بالزهد .. وخلطوا الرذيلة بالمتعة .. وتغير مدلول كلمة
« الاخلاق الفاضلة » في ذلك العصر عن مدلولها في
عصور الحيوية والفطرة . ولم يخفف عصر النهضة في
أوروبا من تلك الفكرة فيما يتعلق بالادب إلا تخفيفاً
يسيراً . فلبث الادباء والشعراء هناك حتى العصور
الحديثة يرون واجبهم في تحقير المادة والحواس المادية
عند الانسان . في رأبي ان اغفال أى حاسة من
حواسنا هو اغفال باب من أبواب المعرفة . إن المعرفة
البشرية لا تدخل إلينا من باب العقل وحده . إنما
تسرب إلينا من كل مسام جلدنا وجسدنا وذهننا
وروحنا ووعينا الظاهر والباطن . فمن كان يتوق حقاً

إلى المعرفة السكاملة والحقيقة العظمى فليفتح لها كل
الأبواب والنوافذ... كنت أود أن أحدثك طويلا
عن حياتى الجديدة فى طنطا . ولكنى اكتفى اليوم
بأن أقول لك انى اقطن النزل النظيف الوحيد فى
هذه المدينة . وهو « بنسيون » يحوى من النزلاء
ثلاثة من الفرنسيين . وانجليزيا واحدا واثنين من
الألمان . وهم من المدرسين وموظفى البنك . وقد
اشتريت جراموفون جديداً . وأحضرت من القاهرة
أخيرا « السانفونية السادسة » أى الريفية . وقد
كلفتنى مائة وخمسون قرشا . وأوصيت بشراء
« التاسمة » وهى فى عشر اسطوانات ، للشهر
المقبل ... م

17 16

ملنطاني . . .

عزيزى اندريه

أشكر لك أقفاص المحار البرتغالى التى أرسلتها
إلى مصورة على ظهر « كارت پوستال » . انك
عرفت كيف تثير منى الذكرى وتجري من فى اللعاب .
وبعد ، فلقد تباطأت فى الكتابة إليك لآتى بالخبرة
والتجربة تبين لى انك ذواقه فى شئون الفكر ،
كما أنا كذلك فى شئون الفم ، على الأقل على حد
اتهامك اياى . فرسائل التى لاتعجبك لاتحسب
عليك . لهذا آثرت السمكوت على الكلام الفارغ
هذا سبب . والسبب الآخر ان حياتى الآن تتعارض

قليلًا مع الكتابة . لأنها حياة . وليست بعد تعبيرًا
عن الحياة . لكن ما أسعدك أنت بهذا . . . هذا كل
ما كنت تتمنى لي : الحياة . نعم يا عزيزي اندريه . . .
انى غارق فى الحياة والواقع إلى أكثر من أذنى . وثق
أن التعبير عن هذه الحياة هو ما لا أريد الاشتغال
به الآن ، حتى لا يقال انى فى وظيفتى القضائية وفى
كرسى النيابة انما أقعد على « فوتيل » رقم كذا
لأشاهد الحياة مشاهدة النظارة فى قاعات التمثيل .
ولن يقول هذا أحد سواك ! وربما سيوها بولو علم !
كلا . انى أعيش الحياة وكفى . فلنترك إذن رواية
خبرها للمستقبل . ولنسطر أفكارنا العابرة فقط ،
تلك الأفكار الفارغة التى لا بد منها ملء رسائلنا .
على أن هذه الأفكار قد ذهبت عنى الآن أيضا .
ولم يبق منها ما يستحق أن أبحث به اليك . فاعذرنى
إذا ألقيت على الورق بكل ما يمر برأسى من خواطر ...

أندريه ! يجب أن تعلم أن نافذة حجرتي تشرف
على ميدان « الساعة » . ولكي تعرف أهمية هذا
الميدان يكفي أن أخبرك أنه في طنطا بمثابة ميدان
« الكونسكورد » في باريس ! . ومع ذلك فإنه
ليخجلني أن أصف لك ما تقع عليه عيني وسط هذا
الميدان . لست أعنى البشاعة الفنية التي تقوم عليها
تلك الساعة الكبيرة . فمما لا ريب فيه أنه لم يرد في
خاطر أحد أن يقيم في ذلك المكان شيئاً فنياً على
الاطلاق . بشعاً كان أو غير بشع . انما الذي أعنيه
هو انعدام كل ذوق وزوال كل لياقة ... فقد أنشأوا
وسط الخضرة المغروسة في قلب الميدان بناءً ظاهراً
وهيكلاً بارزاً : يكاد يشمخ على غيره من المباني بجلال
موقعه .. أتدري ما هذا البناء ؟ انه ليس أثراً تاريخياً ،
ولا نصيباً تذكارياً ولا معبداً فنياً : انه مرحاض

عمومي ... ومع ذلك فلا تنس اننا نحن الذين أهدينا
إليكم تلك المسئلة الرائعة التي عرفتم قدرها فاخترتم لها
أرحب مكان في صـ — درباريس : وهو ميدان
« الكونكوردي » ... ثق ان لدينا من أمثال هذه
المسئلة عدداً كبيراً ملقى هنا وهناك في الرمال ...
ولكنهم عندنا يفضلون المراحيض .. لأنها في نظرهم
أنفع على الأقل وأجدي ...

...

آه يا اندريه ! كل يوم تبرهن لي الظروف
على اني كلما ذنوت من منطقة الفن والفكر في مصر
أصاب بخيبة أمل ... ان روح الجمال والفن لم يحل
بعد أو على الأصح لم يبعث من جديد في أرض مصر
الحديثة . من المسئول عن قتل روح الفن في مصر
وقد كانت هي منبع الفن منذ القدم ؟ اني لست من
رأى القسائلين ان العرب هم المسئولون .. ان العرب

ليسوا بهادى حضارات . انهم طافوا بمدنيات زمانهم
 يأخذون وينبدون ، ويتخيرون ويتركون .. ولكنهم
 ما هدموا قط وما حطموا . ان المسئول هم المغول ..
 ذلك الجنس القادم من اواسط آسيا بلا حضارة ولا
 مدنية ولا مزية غير مزية الحرب والضرب . اولئك
 هم الذين حطموا المدنية الاسلامية بما جمعتهم ونقلته
 وصقلته من مختلف الحضارات . ان مجرد الاطلاع
 على تاريخ مصر فى تلك الحقبة المظلمة التى وصفها
 « الجبرتي » ليكفيها ان نرى الى أى درك هوت
 بلادنا المسكينة . بل ان لغة الجبرتي فى ذاتها ، وقد
 كان من خيرة علماء الأزهر وقتئذ ، لا تصنع دليل
 على ان اللغة العربية نفسها قد سقطت فيما سقطت تحت
 سنانك جياد أولئك البرابرة .. وخرجنا من هذا
 الظلام كما خرجت أوروبا من القرون الوسطى . هى
 ارتمت فى أحضان الاغريق وارتمينا نحن فى أحضان

العرب . هي سارت في عصر النهضة من التقليد الى
التجديد . ونحن لم نزل في طور التقليد . ولعل هذا
يفسر لك أسلوب « الموياجي » الذي حدثتك عنه
ذات مرة . على ان هناك بوادر كما قلت لك ، ولا
اكثر من بوادر ، تدل على اننا بدأنا نتحرك نحو
عصر نهضتنا . ولكن السير الجدى نحو هذه النهضة
يتوقف على ثقافة القائمين بها . فنحن نعيش اليوم
في عصر حضارة عظيمة ، هي الحضارة الأوروبية .
فأى جهل منا بفرع من فروع هذه الحضارة معناه
التخلف والقفود . ان روح الحضارة الاسلامية الحقبة
كان الطموح الى الالم على قدر الامكان بكل الأفكار
والمعارف والعلوم والفنون الشائعة في الحضارات
المعاصرة لها . ومما لا شك فيه عندي انه لو لم يكن
المعول لما تختلفت الآداب العربية والفنون الاسلامية
عن نظائرها في الحضارة الأوروبية القائمة . لأن

التبادل الفكرى كان دائماً قائماً بين حضارة الاسلام
والحضارات الأخرى . وإن من السهل أن نتصور
المجرى الطبيعى للمدنية الاسلامية إذا استمعنا لخطر
المغولى . لقد كان فلاسفة العرب متصلين بأوروبا .
وكانت عقلية العلماء والأدباء فى الممالك العربية متفتحة
لتقبل كل تطور تأتى به روح العصر - وورثى يعيشون
فيها . فما كان هناك سبب قط يدعو التفكير العربى
إلى التخاف عن أى تفكير معاصر يتطور ويتجدد .
فاما أن يسير فى موازاته . وإما أن يأخذ منه ويعطى ،
ويؤثر فيه ويتأثر به . ويحدث بينهما ما يحدث الآن
بين التفكير اللاتينى والتفكير السكسونى من
تفاعل وتداخل وتعانق وتزاامل . . . فاذا أردنا القيام
بعصر نهضتنا جدياً فعلينا التشبع بهذه الروح . أما
أن نظن النهضة فى مجرد تقليد العرب بالحالة التى وقفوا
عندها يوم انهيارهم أمام المغول ، دون أن نأتى بالا إلى

القرون والأجيال التي انطوت وذهبت وفصلت
ذلك العهد عن عهدنا الحاضر بما استجد فيه من علوم
وفنون وأساليب حديثة . فهو حق وعمى وجهل لو
اطلع عليه العرب الأقدمون أنفسهم لسخروا منه
ومنا .. من أجل ذلك كان الشرط الأول ، في نظري ،
هو الثقافة التامة ... نعم ، ينبغي نهضتنا رجال من طراز
رجال عصر النهضة في أوروبا : رجال موسوعيون
يحيطون بكل ثمرات الذهن وتناج العبقرية في الحضارة
المعاصرة لهم والحضارات السابقة عليهم . ولكن مع
الأسف ... أغلب رجال الفكر والأدب عندنا
لا يريدون أن يلموا بأكثر من المادة اللفظية
التي تمكنهم من تدبيج المقالات التي يتحدثون فيها
النماذج العربية القديمة . تصور أن كاتباً مثل « المويلحي »
نرح إلى أوروبا هو الآخر مثل كثيرين من أدباء
عصره ... لكن عبثاً نحاول أن نلمح في آثاره أو

آثارهم ما ينم عن معرفة أو تذوق لفنون أوروبا.
إني لا تسأل: أكانوا يسرون هناك معصوبي الرأس
لا يبصرون ولا يسمعون... ما الذي كان يصد
عيونهم عن آداب تلك الأمم الحية وهي معروضة في
الطرق تصيح من واجبات المكتبات...
وما الذي كان ينم أرواحهم فلا يفطنون إلى جمال
الهياكل وآثار الفن القائمة هناك في كل مكان،
تكاد تصفع بسحرها البصائر والأبصار... ولا
تدع ذا فهم وذوق حتى تبعث فيه النشاط إلى الاطلاع
والاعتراف من كل ينبوع من ينابيع الفكر والروح.
يخيل إلى أن «الحريري» نفسه لو بعث من قبره
ووضع هناك لما طال به الأمد عن التنبيه والتفطن
والانتعاش والانتفاع بكل ما ينبض حوله من مظاهر
الحضارة الحية القائمة. إن العرب كانوا ذوي يقظة
وفطنة وإحساس وتأثر بكل ما جاورهم وعاصروهم من

مدنيات . إن أدباء هذا العصر لمن طراز غريب .
إنهم لا يمكن أن ينسبوا إلى العرب ، حتى وإن
أجادوا تقليد أساليبهم . إنهم في رأي طراز قد طعم
بالروح المغولى . ذلك الجنس الذى يقلد ولا يبتكر ،
ويسيطر ولا يبصر . ذلك الجنس الذى استطاع أن
يبلغ أسوار « فيينا » ، ويتوغل فى أوروبا دون أن
يرى شيئاً من تقدمها الذهنى ، ودون أن يفتفع بشيء
من حضارتها الفكرية . كل مجد المغول فى الحرب .
وكل فنهم تقليد بعض ما وقع فى أيديهم من الأساليب
العربية تقليداً ضيقاً . وكل فكرهم حفظ بعض
النصوص الإسلامية حفظاً مغلقاً . . . وهكذا ورث
تلك العقلية المغولية أدباء العربية فى هذا القرن . فلم
يروا شيئاً ولم يفتفعوا بشيء غير ذلك . ولم يخرجوا
عن نطاق تلك الدائرة المغفلة . حتى الفكر الاغريقى
الذى اتصل به العرب وتفقهوا فيه وكشفوا للعالم عن

مصراميه ... هو أجني عنهم . ومن باب أولى الأدب
الاغريقى وهو أعقد من الفلسفة الاغريقية وأعسر ،
لانه متصل بالفنون الأخرى اتصالا وثيقا . خذ
المآسى الاغريقية مثلا . محال أن ينفذ إلى لبها وروحها
من ليست له دراية ، لا بفلسفة الاغريق وحدها ،
بل بكل أساطيرهم وفنونهم من النحت إلى الرسم
على الأوانى . لا أمل لنا كما ترى فى تجديد الادب
العربى إلا بالاطلاع الواسع والثقافة الشاملة . إن
تربية أهل الأدب فى مصر حتى مطلع هذا العصر
هى تربية لغوية ، قوامها الكتب . ثقافتهم الكتب
وحدها . بها نشأوا وعليها وحدها اعتمدوا فى تكوين
ملكة الانتاج . هل يمكن أن نجد كاتبا اوروبيا يتمد
فى تكوين ملكاته الخالقة على الكتب وحدها ؟ ..
هل يوجد أولا مثل هذا الكاتب فى اوروبا ؟ وإذا
وجد هل يستطيع أن ينتج هذا الانتاج الذى تراه

يرتكز على فن متين التركيب أصيل التفكير . ان
التربية الكاملة الشاملة لمختلف الفنون منذ الصغر
هى التى تنمى عند الاديب الاوروبى ذلك الاحساس
بالتناسق الفنى الذى يرفعه إلى هذه المرتبة من مراتب
الخلق والابداع . وإذا سألتنى عما أعنى بالتربية
الكاملة فأنى أقول لك : هى تربية جميع الملائكات
والحواس مجتمعة . فتربية ملكة العقل وحدها
لا تكفى عند رجل الأدب والفن ان لم تصاحبها
تربية حاسة البصر وحاسة السمع ... وحتى حاسة الشم
والذوق . . . التربية الكاملة للحواس والملائكات هو
ما أسميه « الثقافة الكاملة » . لا ينبغي لأديب أو فنان
أن يترك حاسة من حواسه هملاً بغير تذكير ،
عاطلة لا تؤدى عملاً . يجب أن يعلم منذ الصغر ان
لكل حاسة « آداب لغتها » . وان عليه أن يحذق
« آداب اللغات » جميعها لكل حاسة من حواسه .

فكما ان آداب لغة العقل والفكر تقرأ في الكتب
والمكتبات ، فان آداب لغة العين تشاهد في المتاحف
والمعارض والهياكل والآثار الفنية والمناظر الطبيعية .
وان آداب لغة الأذن توجد في قاعات الموسيقى والتمثيل
والغناء . وان آداب لغة الشم في العطور الجميلة ...
ولغة المذاق في المأكول اللذيذة ... الخ ... يجب أن يعلم
الأديب والفنان ان من واجبه أن لا يجهل قط وجود
« الجمال » الاسمى عند كل حاسة من حواسه . وان
هنالك عباقرة قد استطاعوا التعبير عن هذا الجمال ...
ويمكنوا من استخلاصه واستصفائه وصبه في قوالب
فنية رائعة : هي الكتب والصور والتماثيل والمعابد
والسائفونيات والأوبرات والأناشيد والتمثيلات
والأشعار والأزهار الخ ... ما الفنون المختلفة بأثارها
الباقية إلا « آداب لغة » كل حاسة من حواسنا ...
فعلينا أن نلم بتاريخ أدب هذه اللغات : وأن نتذوق

أجل نصوصها في كل ناحية من نواحيها . وأن
لا نقصر التفاتنا على أدب دون أدب . فنظن الجمال
في آداب لغة العقل وحدها . أو آداب لغة الفكر
انما يجب أن نعلم ان لكل حاسة عوالم من الجمال
لا نهاية لها ... وانه ينبغي لنا إذا أردنا الارتفاع
بآدميتنا ، أن نسمو إلى تلك العوالم وأن نجوس في
أرجائها الواسعة . مهتدين بقيادة عظماء الفنون الذين
طافوا بها قبلنا واستكشفوا قممها وغاصوا على
كنوزها . . . نعم ... لكل حاسة وملكة صنفها
الرائعات في تاريخ العبقرية الانسانية الخالقة . ولا بد
من الاطلاع عليها جميعا لمن يريد أن يضع يده على
اسرار الخلق في الأدب والفن . . . تلك هي التربية
الكاملة والثقافة الشاملة التي أراها ضرورية لأدباء
عصر النهضة . وإذا كان الأدب العربي في هذا القرن
واقفا عند تلك المرحلة البدائية ، فذلك لأن أكثر

الأدباء لم يتلقوا بعد هذه التربية الكاملة التي تؤهلهم
لتحمل أعباء الخلق الفنى الكامل ...

...

البارحة كنت فى القاهرة وحضرت حفلة غناء
شرقية . فرأيت عجباً . . . الحاضرون هم ولاشك من
أهل القرن العشرين . ولكن الموسيقى هى من غير
شك موسيقى القرن العاشر . . .

...

أخفيت عنك يا اندريه انى كتبت منذ عام وأنا
فى الاسكندرية شيئاً كالقصة التمثيلية . بنيت على سورة
من « القرآن » ... وجرفتنى المشاغل فتركت هذا
العمل فى حقيقة لى . وكدت أنساه لو لم أفتح الحقيقة
عفوا منذ أسبوع ... قرأته أو على الأصح قرأت
حوار البطل والبطله . وكانت إحدى مقطوعات
« بيرجنت » لآبسن فى موسيقى « ادوار جريج »

الجميلة تتصاعد من الجراموفون . . . بالمفاجأة . . . ؟
أنا الذى كتب هذا المنظر ؟ لقد غمرنى يا اندريه
جو شعرى . لست أدري بعد أمبعثة القصة أم
الموسيقى . لقد تأثرت حقاً من هذا الحوار الغرامى !
لأول مرة أنا أثر لشيء خطته يدي . حبذا لو أستطيع
أن أترجم لك هذا المشهد : لترى معى هل أنا واهم أو
مصيب ؟ .. أما بقية العمل فلم أجده فيه ، للأسف ،
ما هز نفسى ... م

18 16

طنطا في ٨ يوليو . . .

عزيزى اندريه

ما أعظم سرورى برسالتك التى جاءتني على غير
انتظار . فكم طال بنا الصمت . وبى رغبة شديدة فى
طول الحديث معك . ولكنك تغيرت قليلا يا اندريه ،
وانك شئت صحائفك وندرت رسائلك مما يندرنى
بشر مستطير ! عهدي بك سيمال القلم . ولا شك
لديك ما تقول لى وتمسكه عنى قسوة منك . ألا قاتل
الله صحبتك ! أما قولك انك بدأت تكتب فوجدت
الرسائل سخيقة فأثرت السكوت فهو عذر لا يبيده
مثلك لمثلى . ألا تخجل ؟ انى لا أطلب إليك أن تقوم

بأنشاء رسالة بالمعنى الأدبي للكلمة . ولعلنى كنت
كذلك ذات يوم ولم يشفى من ذلك الداء غير
مصارحتك اياى يوما بأن بعض رسائلنى تنفعك
«لف» الحوائج الصغيرة من أضرار قصان إلى مواسى
حلافة ! اذن ما معنى كلمة السخف عندك : انت الذى
لا يعجبنى منه سوى رسائله التى لا معنى لها ،
وصفحاته التى يخاط فيها الحابل بالنابل ، ولا يتعرج
أن يستعمل الفاظ «أباش» مونترتر وأوباش مرسيليا !
انه ظلم . اقسم انه الظلم بعينه : أن أكتب إليك أنا
كل هذه الرسائل ، مع ما أنا واقع فيه من عمل
مهلك . ان مجرد وصف عملى ومقداره خصوصاً فى
فصل الصيف لىحتاج إلى أفراد رسالة طويلة .
تصور انى أعمل بدل ثلاثة من الزملاء . إذ ليس لى
أجازة هذا العام . أو الاصح انى نزلت عنها للآخرين
شهامة منى أو حماقة . البرنامج اليومى كالاتى :

عمل في دار النيابة من الثامنة صباحا إلى الثالثة بعد الظهر. ومن الخامسة مساء إلى الثامنة: لتحقيق التلبس وقضايا المكتب. هذا عدا القيام لضبط الحوادث الليلية! نعم، ذلك ان وكيل النيابة في مصر هو مخلوق فريد في نوعه في عالم المخلوقات القضائية. فهو يقوم بعمل النيابة وقاضى التحقيق معاً وفي نفس الوقت، بالمعنى المعروف لهذين العاملين المنفصلين في فرنسا وانجلترا ودول الأرض قاطبة. لذلك ترانى عدا عمل النهار الشاق أقوم كل ليلة تقريبا لا أضرب في كل طرف من أطراف مديرية الغربية. حتى ضجت بالشكوى مدام « بلانشان » صاحبة البانسيون، وضج معها الزلاء، ومن طرق الخفراء ليلا على الباب لا يقاطنى، وضجت أنا بالطبع وأصابنى الأرق والسهاد! كل هذا أيضا عدا الجلسات. أتدرى كم جلسة على حضورها في الاسبوع؟ أربع

جاسات . وهذا أيضا خلاف الابرار اليومى وهو
لا يقل عن خمسين ملفا تحوى قضايا من كل لون
وصنف : جنح ومخالفات وعوارض وشكاوى ادارية،
يجب فحصها وقيدها وتقديمها للمحكمة أو حفظها ...
كل ذلك فى يوم ورودها ! لقد قلتها ذات مرة
فى صبيحة وأنا أكاد أجبن : ان وظيفة وكيل نيابة
مصرى هى أشق عمل فى العالم كله .. ولا يستثنى من
ذلك إلا عمل جندى الخنادق فى الحرب العظمى !
ولنتقل إلى حديث الأدب . أه ما اشهى كلمة
« الأدب » بعد كل هذه .. « المرمطة » ؟ إني لا أملك
وقتا لتذكر هذه الكلمة . لكم أعجب الآن إذ كنت
فى يوم من الأيام خاليا إلى حد انفاق الوقت فى تخيل
ما وراء السكتب . كم من الساعات أضعت فى
الجلوس جامدا بمشارب حى « جامبتا » أنظم الأرض
والسما من جديد ، وأعيد بناء العالم طبقا لتصوراتى

ومثلى العليا . لو كنت أعلم ما ينتظرني ها هنا . . . ١٢
لو كنت أعرف أن هذا هو المصير لكنت أشبعت
نفسى لهوا ومرحا فى باريس ، ولاقتصدت فى كل
شئ وأرحت نفسى بمض الراحة من ذلك العناء !
آه لتلك الحمى الخبيثة التى كنت مصابا بها . تلك
الحمى التى أضاعت على كل ما كان يمكن أن يظهر
من صفات طيبة . الآن شفيت ولله الحمد . وهأنت
ذا ترانى شخصا غير متعجل شيئا ، مستساما للحياة
والقدر ، فليصنعها بى ما يريدان !

تسألنى عن الرواية التى حدثتك عنها فى رسالتى
السابقة ؟ انها ليست عصرية ولا تاريخية . ولا حتى
قصة تشيلية حقيقية . بل . . . بل . . . لست أدري
ربما كانت عملا فنيا يقوم على « الحوار » لا أكثر
ولا أقل . حوار أدبى للقراءة وحدها . فان وضعت
للتمثيل لم يخطر لى على بال . ان كلمة « التشخيص »

التي عرضتني للاهانة في بدايتي الأدبية مازالت ترن
في أذني ... كلا . إن هدي في اليوم هو أن أجعل للحوار
قيمة أدبية بحيث ليقرأ على أنه أدب وفكر . هذا
العمل على كل حال لا يخرج عن كونه Transposition
artistique لسورة قرآنية ترتل في المسجد يوم
الجمعة . على أني لا أكتمك اني ساعة كتبتها لم
أكن تحت تأثير القرآن وحده . بل أيضا تحت تأثير
مصر القديمة . لقد كنت قرأت الكتب الدينية :
كتاب الموقى والتوراة والأنجيل الأربعة والقرآن
ان مصر القديمة كلها كانت واقعة تحت سلطان كلمة
واحدة ملكت عليها فكريها وقلبها وعقائدها
ومشاعرها : البعث . وهي كلمة ذات أربعة أوجه
كالهرم : وجهها الأول : الموت . ووجهها الثاني :
الزمن . ووجهها الثالث : القلب . ووجهها الرابع :
الخلود . . .

هل أنا على حق في تفسير المكتب السماوية
تحت ضوء مصر القديمة ؟ ومن منها أصل الأديان ؟
إذا كانت الأديان السماوية هي الحق ، فلا بد أن
تكون قديمة قدم الحق . أو على الأقل قدم الانسان .
فلا أنبياء اذن لم يخلقوا الحق خلقا بظهورهم ، ولكنهم
كشفوا عن وجوده الأزلى . فلا غرابة اذن في
البحث عن منابع الأديان السماوية فيما كان قبلها من
وثنية ، والبحث عن منابع الوثنية في قاب الانسان
من يوم ظهوره على الأرض

لو كان المسكين ايفان حياً لناقشني في كل ذلك
بما يملأ أسفارا ... على أى حال ، لا تشغل بالك كثيرا
بروايتي هذه . فهي ليست عملا ذا بال . ولا أحسبها
تمتاز عن مخطوطاتي السابقة في كثير أو قليل . إلا
أن تكون هي أول عمل أردت أن أستوحى فيه
« القرآن » كما أردت قبل ذلك استلهم « ألف ليلة

وليلة « و » المجتمع « المصرى قبيل الثورة ... الخ ...
وبعد . فما من جديد فى حياتى هنا ، على أنى لا أريد
أن أختم هذه الرسالة قبل أن أخبرك أنى سعيد
لتشرفى بمعرفة « موزار » معرفة أوثق عرى من تلك
المعرفة السريعة العابرة التى بدأت فى باريس . فلقد
هبط « البانسيون » رجل انجليزى من نوع Bidlake
أو Burlap فى قصة هكسلى . وأنى معه « باليوم »
اسطوانات السانفونيات رقم ٥٠٤ و ٥٠١ و « سوناتا »
رقم ١٠ فسرعان ما تعارفنا بالطبع . . . وصرنا نتبادل
الاسطوانات . . أنا أعيره بيهوفن وهو يعيرنى
موزارت . أه أى جمال وأى سعادة أن تعيش بجوار
هذا الطفل الابلهى : موزار . . . ؟

18

16

طنطا في . . .

عزيزى اندريه

مضت شهور ولم ألتق منك كلمة واحدة . ماذا
بك ؟ ماذا حدث لك ؟ إني مع ذلك لا أستطيع أن
أكف عن الكتابة اليك . إلى من غيرك أفضى
بهواجسى . أريد أن أتفك وأتكلم وأجد انسانا
يصغى إلى حديثي . إلى ذلك النوع من الحديث الذى
لا أجروء على الإشارة إليه فى بيئتي القضائية . الويل
لرجل القضاء الذى يستكشف زملاؤه فيه أنه أديب .
ان لنا مجالسا يضمننا كل مساء فى قهوة نظيفة فلا
نتحدث فى غير تصرفاتنا اليومية فى القضايا . فمن

ظهرت عليه بوادر الفكر في حديثه أو عوارض
الفلسفة في خواطره حلقوا فيه ثم تهامسوا « أتركوه
هذا أديب ... سامحوه هذا فيلسوف .. » وذكروها
له وعدوه بعد ذلك ممن لا يوثق في تقديراتهم أو
تصرفاتهم القانونية . فاذا لم يجدوا مطعنا في عمله فهم
على الأقل متبرمون به وبحديثه . ولن أنسى ذلك
الزميل الفاضل قاضي المحكمة الكلية الذي كان مشغوفا
بالتاريخ الاسلامي ... وعلى الأخص تاريخ الفاطميين .
لقد كان في الواقع واسع الاطلاع فيه .. طلى الرواية
له . فلم يتركه زملاؤه يتحدث في هذا الموضوع قليلا
حتى انصرفوا عنه وصاروا بعد ذلك كلما أقبل عليهم
هذا الزميل نهضوا متهامسين : « هلموا بنا ... »
هلموا بنا ... صاحب الفاطميين حضر ! » فما كان
يمسك في استقباله والاستماع إليه غيري أنا . فلقد
كنت حقاً أجد عنده حديثاً يسرني ويلد لي ..

وتكرر هذا الأمر حتى كدت آثمهم أنا أيضا ويدكر
اسمى معه في معرض التندر والسخرية . . . وجاء يوم
كادت تقع فيه كارثة : فلقد هبط المدينة قاض كان
من زملاء دراستى بمدرسة الحقوق فى القاهرة . وقيد
اسمه معى بمجدول المحامين فى يوم واحد . . . وشهد
انصرافى بعدئذ إلى التأليف المسرحى . وحضر تمثيل
بعض رواياتى . . . فما كاد يرانى بين الحاضرين فى
المجلس حتى اتخذ مكانه بجوارى . . . وهو يصيح بى :
« أين أنت وأين ليالىك ورواياتك التى كانت منذ
عشرة أعوام تملأ المسارح ! » فخلق فيه رئيس
المحكمة ورئيس النيابة وكانا - لسوء حظى - بين
الحاضرين . . . وقالوا : « يعنى إيه ؟ ! كان فى التشخيص ؟ ! »
فغمزت صاحبى . . فنظر إلى ورأى فى عيني آيات
التوسل والألم والضرعة . ففهم الموقف وأدرك غلظته
وحاول إصلاحها قائلا : « لا . . . قصدى انه كان يميل

إلى مشاهدة التمثيل في ليال الفراغ . . ثم انفردت
به أفهمه أن ذلك الماضي قد دفن . وإني الآن من
أعضاء الأسرة القضائية المشهود لهم بحسن السمعة .
فاياك أن تلصق بي كلمة « أدب » أو كلمة « فن » أو
حتى كلمة « فلسفة » . . . أرايت يا أندريه في أى عالم
أعيش الآن ؟ هل كنت تصدق أن ذلك يحدث
لى ؟ . . . أدركت الآن مقدار حاجتى إليك وإلى
الهمس بالحديث معك من خلال قضبان حياتى
الحاضرة . . . اكتب إلى . . . اكتب إلى . . .
اخبرنى بأحوالك كلها . . . كيف حال « جرمين » ؟
وكيف حال الصغير « جانو » ؟ فى أى مدرسة هو
الآن ؟ إني أتخيله دائماً طفلاً صغيراً يلعب بسيفه
الزائف ومدفعه الصغير . . .

دسوق (غربية) ق . . .

عزيزى اندريه :

وا أسفاه ! . . . مضى عام وأنا لم أزل فى انتظار
رد منك . رد صغير ينبئنى بأن الحبل بيننا لم ينقطع .
يظهر أنه انقطع . . . ذلك الحبل الذى كان يربط أحدهنا
إلى الآخر ونحن هائمان فى جليد ذلك القطب « الفكرى »
المرتفع ! . . . ترى أين أنت الآن ؟ « اتركتنى وحدى
وذهبت عائداً إلى المجتمع ؟ . . . هل فعلت ذلك ؟ أما
أنا فأنى أقاوم . . . أقاوم بكل مالى من قوة وعزم . . .
إنى أكتب إليك الآن من مدينة صغيرة على النيل .
تدعى « دسوق » . هى مع ذلك مركز من أهم

مراكز القطر . لقد أسندوا إلى أعمال نيابتها .
فوجدت نفسى أمام عمل هالئى من الكثرة والخطورة .
ان قاضى المحكمة لا يقيم فى المدينة . . فهو يحضر
جلساتية وبذهب . وبهذا صرت أنا الرئيس المسئول
عن شئون النيابة والمحكمة معاً . . . لقد تبين لى بعد
أسابيع قليلة أنى أنا الرئيس المتصرف فى هذه المدينة
كلها . فالبوليس والادارة والصحة والهندسة والرى
والزراعة . وكل فروع الحكومة المختلفة تصب
مشاكلها بين يدى . . . حتى فيما لا يقع تحت طائلة
القانون وما يكتفى فيه بالنصح والارشاد والمصالحة
والتوفيق وإقرار النظام بالحسنى . . كل ذلك يحتاج
إلى رأيى ولحكمتى فيه المقام الأول . . . لقد شعرت
حقاً بعبء المسئولية . . . فدفعى ذلك إلى العمل
المضنى . . . لقد وضعت نظاماً دقيقاً للعمل لا أنحرف
عنه قيد شعرة . إنى أعمل نهارى كله . . من الصباح

حتى الثانية بعد الظهر . . ومن الرابعة حتى السابعة ..
فأخرج للنزهة ساعة فوق جسر النيل . . . تلك هي
الساعة التي تسمح لي فيها تبعا لى أن أتحرك قليلا
لأعود إلى نفسى وذكرياتى . . فى تلك الساعة الهادئة
أسير وحدى فوق الجسر أتأمل الأمواج فى اصطفافها
الخافت . . . فتلعب فى رأسى الأفكار القديمة من
جديد . . أفكار الفن والأدب . . فالتفت حولى
حرصاً عليها من مفاجئ . . فلا أبصر غير الخفير
النظامى يحمل بندقيته ويتبعنى عن بعد . . ليبلغنى بما
يرد من إشارات مستعجلة . . حتى إذا خيم الظلام
عدت إلى مسكنى فتناولت العشاء ثم نظرت فى بعض
ملفات القضايا . . ثم آويت إلى فراشى فى انتظار
إزعاجى نصف الليل ببلاغ عن وقوع جناية . . لقد
أحصيت عدد الليالى التى انتقل فيها إلى حوادث
جنائية فى هذا المركز . . فاذا هى فى المتوسط خمس

ليال .. أى إنى لا أظفر بأكثر من ليلتين فى
الأسبوع أقضيهما نائماً فى فراشى كما ينام الآدميون ..
إنى أودى واجبى دون تدمير . وأنهض بأعباء عملى
القضائى بأمانة وهمة واستقامة ألحظ أثرها الحسن فى
مكاتبات الرؤساء الرسمية . انهم يشقون فى تصرفاتى
ثقة تملؤنى فخراً . هل كنت يا أندريه تتوقع نجاحى
كوكيل نيابة ؟ ولا انما كنت أتوقع لنفسى ذلك .
لقد ثبت لى انى رجل أمين لا يعرف الغش فى شروط
اللعب . انى فى الفن كنت الفوضى بعينها . ولكنى
فى عمل القضاء أنا النظام بعينه . بل انى مبالغة فى
الغيرة على سمعة هذا المنصب لا أختلط بالأعيان ولا
برجال الادارة ولا بأى شخص أكثر من الاختلاط
الذى يدعو اليه العمل الرسمى .. لطالما سمعت بأخبار
زملاء قضائيين — لم يتصلوا يوماً بفن ولا بفنانين —
ومع ذلك لم يبالوا ، فكانت لهم فى مراكز أعمالهم

سهرات « بوهيمية » ومغامرات نسائية .. تركت
أثرا في صحائف خدمتهم لا يمحي . أما أنا فصحيفتي
نقية بيضاء .. ولقد التقيت ذات مرة بالنائب العام
فقال لي انه يعدني من خيرة وكلائه عملا واستقامة
وسمعة . فانا اذن يا اندرية كما ترى . . . أسير بخطى
ثابتة نحو الاطار النهائي الذي يريد أن يحبسني فيه
المجتمع . . ماذا بقي لي من الفن والفنان بقبعته السوداء
ذات الاطار العريض ؟ .. كنت منذ أشهر بالقاهرة
فقابلني أحد زملاء الدراسة يشتغل الآن بالتجارة ،
ولا يعرف من أمرى شيئا .. فما ان تفرس في وجهي
وهيئتي حتى قال لي : « ماذا تعمل في الحياة ؟ لا بد
انك من رجال القضاء ؟ » فدهشت وسألته :
« كيف عرفت ؟ » فقال لي : « شكاك وهيئتك
وسياؤك » .. عجبا .. أهكذا المهنة قد طبعتني
بطابعها .. ورن عندئذ في أذني صوت : « ايمادوران »

يوم قابلتني أول مرة وتفرست في وجهي قائلة لي :
« ماذا تعمل ؟ لا بد انك فنان في مونمارتر ! » ..
واأسفاه .. مات ذلك الفنان .. وحلت روحه في
جسد رجل قانون ! .. أترى الفنان يا أندريه يبعث
من موته يوماً ؟ .. ولكن كيف ؟ كيف يحدث لي
ذلك ها هنا .. كيف يحدث ذلك لقضائي منظور
إليه نظرة الرضا والاحترام .. كيف السبيل إلى
الفن الآن . والمجتمع كما ترى قد هبأ إلى مكانا في
أحضانها لا أستطيع منه فككا .. أندريه ...
أندريه ... أخشى أن يحطمني المجتمع .. يحطم الفنان
في ... ربما كان قد حطمني وكسرتني ... ولكني
أقول ... منذ أساييع وأنا ألتقي من أهلى خطابات
يعفرونني فيها بالزواج .. ويذكرون لي أسماء لامعة في
الثروة والجاه .. ويتهمونني بالحق والغفلة والعته إذا
خامرتني فكرة الرفض ... ويظهر أن كل شيء قد

أعد . وأن أصحاب هذه الأسماء قد قبلوا . فالمناصب
القضائية — شأنها في مصر شأن فرنسا — مزيها
الكبرى هي سعرها الممتاز في سوق الزواج . فماذا
تقول في ذلك ؟ انهم ينتظرون قبولي .. يكفي يا أندريه
أن ألفظ كلمة « نعم » ليضع المجتمع أصفاده في يدي
الأخرى الطليقة ، ويجرني نهائيا إلى المصير المحتوم .
لقد قلت لهم « لا » بأعلى صوتي .. وهم مشدوهون
لا يعرفون السبب . « لا » .. تلك هي الصيحة
الأولى لمقاومتى اليائسة .. يجب أن أقاوم وأن أجاهد ..
أليس كذلك يا أندريه .. أأرضي أن تطويني الحياة
وترغمني على ما لا أريد .. فيم كان اذن جهادي الطويل
في سبيل الفن ؟ فيم كانت الأعوام الطوال التي
أنفقتها قراءة واطلاعا وتحصيلا وتكوينًا وممارسة
لأنواع الفن وأنواع العلم وفروع المعرفة .. لقد أردت
أن أكون كاتباً وسأكون .. ولكن كيف

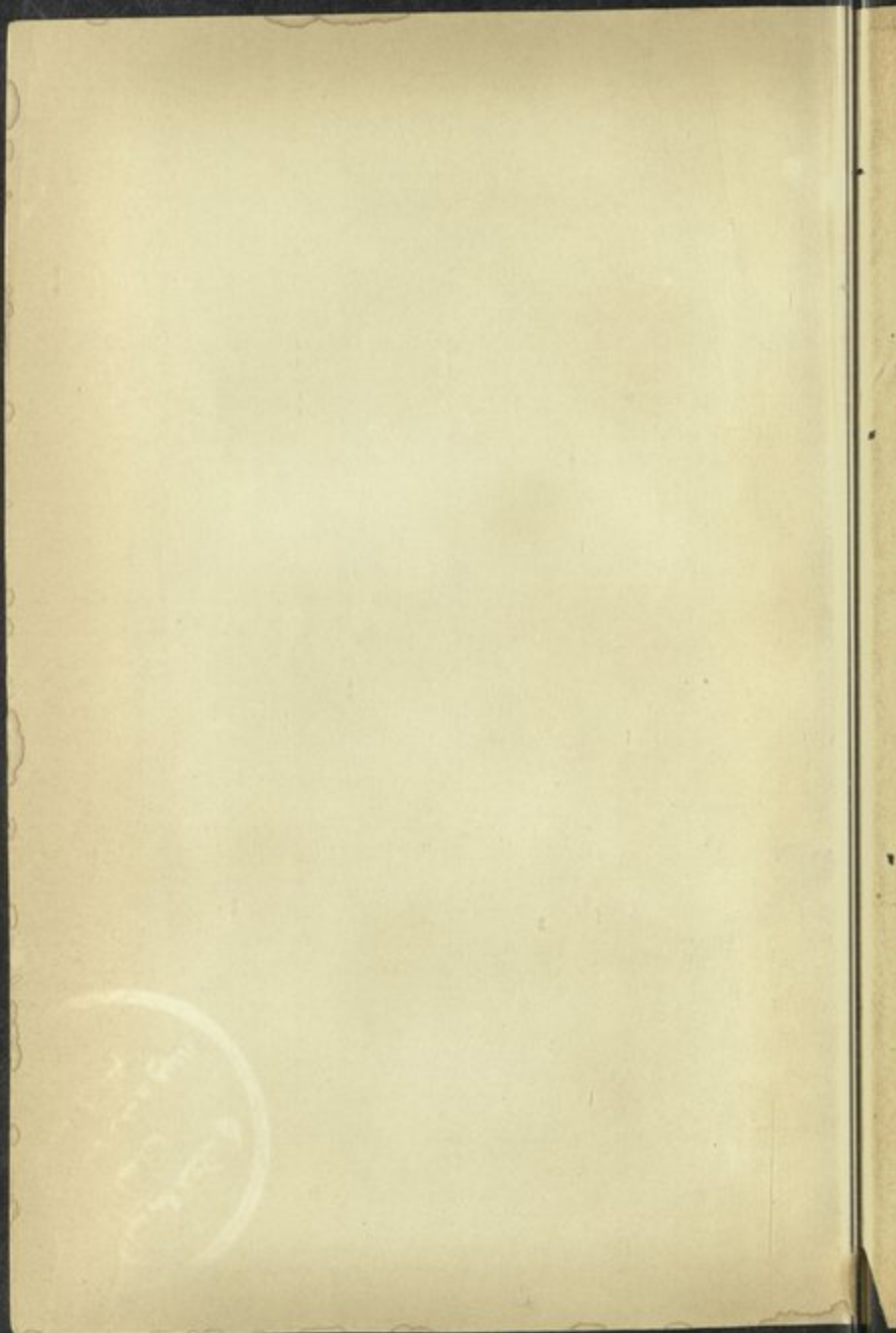
يا صديقي أندريه ؟ إنى أخط إليك هذا السؤال
بصوت مرتفع فى سكون هذا الليل .. تحت هذا
المصباح الضئيل المستيقظ انتظاراً لجرائم الناس .
كيف السبيل يا أندريه ؟ إنك تعلم أنى عملت
وجهدت لامتلاك ناصية فنى .. ولم أكتف ببدايتى
الأولى منذ عشر سنوات .. فتناسيتها .. وانطلقت
من جديد أكتب وأمزق وأكتب وأمزق ..
ولم يسلم من التمزيق أخيراً سوى تلك المخطوطات
التي حدثتك عنها .. أظن أنى قد أعددت نفسى
اععداداً كافياً .. وأظن أنى قد جاوزت السن التي
يحسن فيها بأديب أو فنان أن يظهر نهائياً ليغرس
قدمه فى ميدان فنه ، ويعرض ثماره على اهل وطنه ..
ولكن مع ذلك .. أنا فى شك يا أندريه .. من ادراى
ان فنى يستحق النشر الآن ؟ لم لا تقول انى متسرع .
لطالما تسرعت من قبل .. الا يحسن بنا التريث ؟ قد

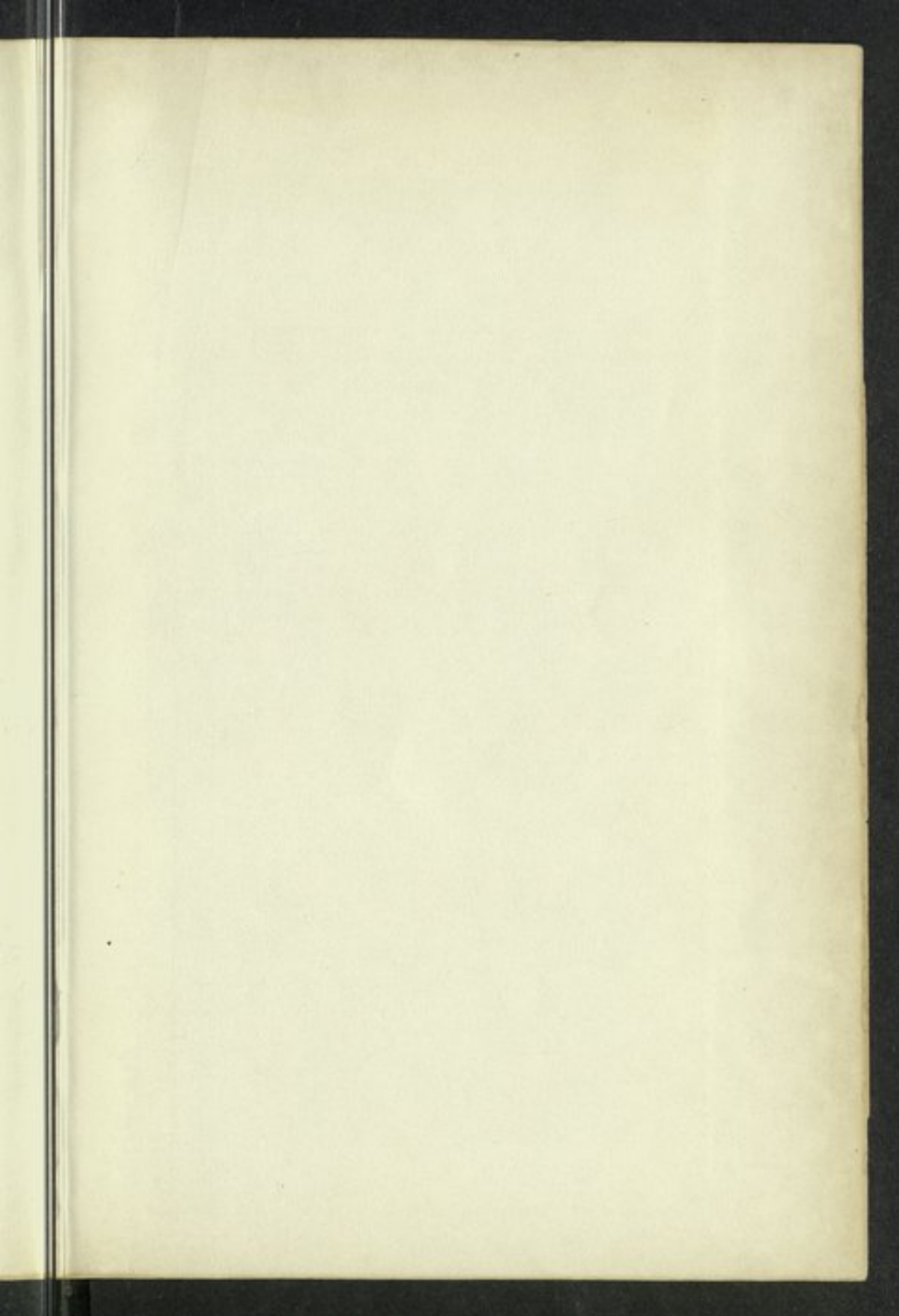
تسألني الى متى ؟ لست ادرى الى متى . ان الفن حقا
طويل . وإذا تريثت اكثر من ذلك فساظل طول
حياتي اترث واتشكك .. ولكن من جهة اخرى
إذا اخرجت للناس شيئا نافها . فماذا يكون جوابك ؟
ان الانتظار الى آخر العمر لا هون على نفسى الآن
من اخراج عمل فنى ناقص . انى لم اعد الشاب
الطائش الذى كنت تعرفه فى باريس ... انى الآن
أكره العجلة . وابغض النشر لمجرد النشر . واقدس
الفن حقيقة . وانزه اى عمل فنى عن الظهور مادمت
ارتاب فى أمره بعض الارتياب .. كلا .. فلنبق كما
نحن يا سيدى . وحسبى ان انظر فى مخطوطاتى
من حين إلى حين .. لأستخرج فى كل مرة نقصا
جديدا . قد تدهش إذا قلت لك انى صححت وعدلت
وبدلت فى كل مخطوطة . وقت «تبييضها» ونسخها
بنفسى اكثر من أربع مرات . اجل يا اندريه .

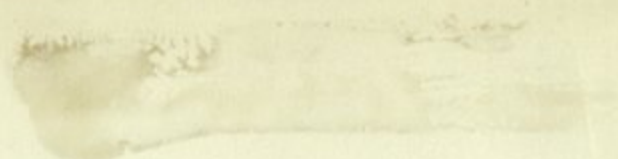
لكل مخطوطة عندي كبرت او صغرت أربع نسخ
version مختلفة بخط يدي .. على أننا إذا طرحتنا جانبا
مسألة النضج الفنى لعملى وهل تم قليلا او لم يتم ؟ ..
ومسألة الاقدام والتريث وأيهما الأصوب ؟ ومسألة
الثقة او الارتياح وأيهما الأرجح . فان هنالك
مسألة أخرى يجب ان لا تغيب عن خاطرك : المجتمع
الذى حولى الآن . . كيف السبيل إلى الخروج
من إطارى القضائى ؟ . كيف أنشر فنا دون أن
اتعرض لسخرية الزملاء وخيبة أمل النائب العام
وخيبة الأهل والخلصاء ... آه يا اندريه معذرة ! ..
انى افكر الآن تفكيراً سخيفاً ... هذا كلام غير
خليق بفنان ! .. ولكن هل أنا فنان ؟ .. أتراها
القبعة السوداء هى التى كانت تمسلاً رأسى بهذه
الأوهام ! لقد خلعتها كما تعلم منذ زمن بنيسد ..
وها انذا اليوم اتشح بالوسام الأحمر الأخضر ..

ولم أعد أسمع احدا ينعتنى بالفن .. ربما قلت لى :
يكفى ان تصغى إلى الصوت الصاعد من أعماق
نفسك ! .. أجل يا اندريه .. ولكن نفسى الآن
ينخر فيها الشك . وما عدت اصدق لها كلاما ؟ ..
واخجلاله ! .. لست ادرى كيف يتكلم هذا
الكلام رجل يتشبث بالفن .. حقا .. يجب ان
أؤمن بالفن ... الايمان بالفن هو « التعميدة »
التي تفتح لى الطريق .. انى أؤمن بأبولون .. أو من
بأبولون إله الفن الذى عفرت جبينى أعواما فى
تراب هيكله انه ليعلم كم جاهدت من أجله
وكم كالخت وناضلت وكددت ! باسمه أخوض
المعركة الكبرى وأنزل كل مجتمع وكل حياة وكل
عقبة تحول بينى وبين فنى الذى منحه زهرة أيامى
التي لن تعود ... م











A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00296402

